الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث
رمز المذكرة: 39/017/أ ع.

المـــــوضـــوع:

الالتزام في مقالات البشير الإبراهيمي

إعداد الطالب (ة): بن خالدي زينب

إشـــراف الأستاذة الدكتورة:
د. شافع بلعيد نصيرة.

لجنة المناقشة		
الدكتورة	بن زرقة	رئيسا
أ.الدكتور	فارسي عبد الرحمان	ممتحنا
أ.الدكتورة	شافع بلعيد نصيرة	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1439-1440هـ 2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

إِهْدَاء

إلى أعظم امرأة عرفتها في حياتي:
أمّي الحنونة.

إلى أعظم رجل عرفته مناضلا من أجل
إسعادنا: والدي العزيز.

إلى إخواتي العزيزات: ليلى، حسيبة،
إلهام.

إلى أخي العزيز: محمد.

إلى كل من أضاء لي طريق الحياة.

إلى كلّ الذين نساهم قلمي ولم
ينساهم قلبي، فكان معهم في كل لحظة
إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا البحث
العلمي المتواضع.

كلمة شُكر وتَقدير

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا ملء السماوات وملء الأرض أشكرك ربي على نعمك التي لا تعد ولا تحصى، وأحمدك ربي وأشكرك على أن يسرت لي إتمام هذا البحث على الوجه الذي أرجو أن ترضى به عني.

وأتوجه بعد ذلك بالشّكر إلى مشرفتي الأستاذة الدكتورة شافع بلعيد نصيرة على ما بذلته معي من جهود في تقويم هذا البحث وتصويبه، كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد خللها والإبانة عن مواطن القصور فيها.

وفي الأخير أشكر كل من أعانني على إنجاز هذا البحث، فلهم في القلب منزلة، وإن لم يتسع المقام لذكرهم فهم أهل الفضل والثناء.

مُقدِّمَة

مقدّمة.

الحمد لله على كل نعمه، يمن بالتوفيق ثم يثيب عليه ويلهم الحمد ثم يجزي به والصّلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

يعتبر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من رواد الإصلاح في الجزائر ومن أعلام الفكر والأدب فيها، كما يعد من الرجال العظماء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل أن يحيا أبناء وطنهم في حرية واستقلال، لهذا فإن الحديث عن البشير الإبراهيمي هو حديث عن الجزائر وتاريخها، بل حديث عن فكرها وأصالتها فلقد جسدت شخصية هذا الرجل العظيم صوت الشعب الجزائري بأكمله، فعبر بذلك عن معاناة هذا الشعب وآلامه وآماله.

ولقد تميز الإبراهيمي بإنسانيته العظيمة والتي جعلته لا يستطيع تحمل رؤية الظلم في وطنه أو في سائر البلدان العربية الإسلامية الأخرى، فكان هذا الظلم الذي لم تستطع أن تتحمله نفسيته راجع إلى الاحتلال الفرنسي الذي فرض سيطرته وقوته على الشعب الجزائري. ومن أجل ذلك قرر أن يجعل أدبه وسيلة لخدمة مجتمعه وأمته ولعل مقالاته أكبر دليل على ذلك، فلقد عمد فيها إلى معالجة العديد من المواضيع والتي كانت تمس الواقع الاجتماعي والسياسي مسا مباشرا. ولعل من أهم تلك القضايا، قضية التعليم العربي في الجزائر وقضايا الشباب والقضية المصيرية والتي تهم الأمة الإسلامية جمعاء ألا وهي القضية الفلسطينية فكان أثناء معالجته لهذه المواضيع يقدم الأسباب التي أدت إلى المشكلة ثم يتعرض لها بشكل دقيق، وفي الأخير يقدم الحل لها، وهذا ما جعله محللا بارعا في مقالاته المتنوعة.

من خلال هذا الطرح السابق نجد ان أن مفهوم الالتزام قد برز في أدبه بصفة عامة ومقالاته بصفة خاصة بشكل واضح وجلي، لذلك ارتأيت أن يكون موضوع مذكرتي موسوما بعنوان: "الالتزام في مقالات البشير الإبراهيمي"، كذلك لأن مصطلح الالتزام في أدبه يكتسي حلة جمالية ، فكان بالتزامه هذا مثل الطبيب حين يشخص الداء ويعطي الدواء، و من الأسباب التي جعلتني أميل إلى

هذا الموضوع إعجابي بهذهالشخصية العظيمة، وذلك بعد إدراكي للخدمات الجليلة التي قدمها للشعب الجزائري، ونظرا لأهمية هذا الموضوع ارتأيت طرح مجموعة من الأسئلة منها:

ما هو مفهوم الالتزام؟ وما مدى تجلي هذه الخاصية في أدب الإبراهيمي بصفة عامة ومقالاته بصفة خاصة؟ وإذا وجدت هذه الخاصية في مقالاته فهذا يعني أنه أديب ملتزم وإذا كان كذلك فما هي المواضيع التي التزم بها؟ وهل وفق في التزامه هذا؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة رسمت خطة بحث، فقسمت موضوع الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول فتضمن الفصل الأول مبحثين والثاني والثالث تضمن ثلاثة مباحث بالإضافة إلى خاتمة.

فالفصل الأول والثاني خصصتهما للجانب النظري وإن كان الفصل الثاني فيه جزء من الجانب التطبيقي وأما الفصل الثالث فكان فيه مزج بين ما هو نظري وبين ما هو تطبيقي.

فالمدخل: حاولت فيه إعطاء مفهوم شامل لمعنى الالتزام.

أما الفصل الأول: فقد خصصته للحديث عن المراحل التي مرت بها حياة البشير الإبراهيمي، وذلك بداية من النشأة والرحلات التي قام بها بالإضافة إلى ما قام به من أعمال جليلة، كتأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع رفيق دربه عبد الحميد بن باديس، بالإضافة إلى الآثار التي تركها بعد وفاته.

أما الفصل الثاني، فقد تناولت فيه مفهوم المقال وأنواعه، كما تطرقت فيه إلى بعض الخصائص التي ميزت مقالاته مع إعطاء بعض النماذج عن ذلك.

أما الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن المواضيع التي التزم بها كاللغة العربية والتعليم العربي، محاولة في الأخير تحليل نموذج من مقالاته.

وخاتمة كانت عبارة عن حصيلة للبحث، ذكرت من خلالها أهم النتائج.

أما المنهج الذي اعتمدته في مختلف مراحل البحث المنهج: التاريخي الوصفي والتحليلي.

فالمنهج التاريخي: اعتمدته لتتبع نشأة حياة هذا الرجل.

والمنهج الوصفي: لوصف هذا النوع من الفنون النثرية "المقال" وإبراز أنواعه.

ولأجل هذه الدراسة اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع، من أبرزها كتاب "الآثار" لمحمد البشير الإبراهيمي وخصوصا الجزء الثالث منه، وكتاب "البشير الإبراهيمي أديبا" لمحمد عباس، وكتاب "عيون البصائر" لمحمد البشير الإبراهيمي، وكتاب "دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللّغة العربية وأثره في الهوية اللّغوية" من إصدار المجلس الأعلى للغة العربية.

ولقد واجهت بعض الصعوبات أثناء معالجة هذا الموضوع من بينها، مشقة التعامل مع المصادر والمراجع، بالإضافة إلى صعوبة العثور على المراجع المتعلقة بموضوع بحثي.

ولا يعني كل هذا الذي ذكرته أنني أعطيت هذه الدّراسة حقها في العرض والتحليل، فهي في الأخير تبقى مجرد محاولة لتسليط الضوء على أهم شخصية جزائرية عرفت بالنبوغ والعبقرية.

وأخيرا أسأل الله السداد والتوفيق في بحثي هذا وأسأل الله أيضا أن يجزيني عنه الأجر الكبير، وذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

بن خالدي زينب

تلمسان: 2018.05.09

مَدْخَل

تعريف الالتزام لغة واصطلاحا

مدخل:

إنّ الفنّ الجدير باسمه هو ما كان مرآة لعصره وتُرجمانا لظروفه، وفي هذه الثقافات التي تمدّ جذورها عبر خط التطوّر الفكري ينسج الفنّ خيوطه ليصوغها ثوبا حضاريا يغطي جسد أمته بالملاءمة بينه وبين قضاياها.

ونتيجة لهذا الاحتكاك بين الفنان والحياة وإحساسه بخطورة الكلمة وارتباط أدبه بمجتمعه وقضاياه، فإن وجدانه يكون دائما في حالة معانقة دائمة لمشكلات قومه، و في الوقت نفسه تجدر الإشارة إلى أن انهماك الفنان في ملاحظة قضايا مجتمعه لا يعني الغفلة عن القضايا الإنسانية العامة والتي تتعدى حدود الزمان والمكان وإذا استطاع هذا الفنان النّظر إلى هذه القضايا، فإنّه يكون قد حقّق قدرا كبيرا من النّجاح، وبهذا على الفنّان "أن يتناول القضايا المصيرية أو القضايا ذات المنحى الاجتماعي الّذي يؤثّر في حياة قومه"[1].

فالفنّان حين يلتزم بموقف معيّن اتجاه الأشياء ويعبر عنه فإن ذلك "لا يفقد الفنّ نضارته او يقلّل من تأثيره"[2].

1- تعريف الالتزام:

أ. لغة:

"يُقال لزم الشّيء يلزمه أي ثبت ودام ولزم كذا من كذا، أي نشأ عنه وحصل منه ولزم الشيء فلانا، وجب عليه ويقال أيضا: لزم العمل أي داوم عليه ولزم المريض السريرَ: لم يفارقه، ولزم الغريم وبه: تعلّق به". وألزم الشّيء: وأدامه وألزم فلانا الشّيء أوجبه عليه. ويُقال أيضا لازمه ملازمة ولِزاما: داوم عليه ويقال أيضا لازم الغريم أي تعلّق به ولازم فلانا: عانقه والتزم الشيء أو الامر أوجبه على نفسه"[3].

[1] – رجاء عيد، "فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ص: 7.

[2] – المرجع نفسه، ص: 08.

[3] – مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط"، مكتبة الشروق الدولية، ط: 4، 1425 هـ/2004م، ص: 823.

ب. اصطلاحا:

وأما تعريف الالتزام اصطلاحا، فهو ظاهرة اكتسحت أغلب المجالات النّقدية الحديثة، فأي دراسة لا تخلو من هذا التيار العارم، بحيث هناك من الكتاب من يرى أن فكرة الالتزام لم تكن على شكل نظرية مبلورة في النقد الادبي القديم حيث أن ظهورها ونموّها لم يكتمل إلا في عصرنا الحالي وكلّ ذلك راجع إلى التّطوّر بمختلف أنواعه[1]. فإن الالتزام يقوم على تحديد العلاقة الإنسانية بالآخرين إلا أن هذا التحديد تتضمنّه مجموعة من القيود تقلّل من مجال هذا الاختيار، فهناك التزامات في موقف معين يتبعه إدراك واع من القيم الإنسانية الاجتماعية[2].

وهناك من الكتاب من يضيف بأن: "الأدب الملتزم هو الأدب الذي يسعى إلى توجيه الجماهير إلى واقع اجتماعي وأدبي أفضل لمسايرة الثورة الاشتراكية والخلاص الوحيد للأمّة من الجهل والمرض"[3].

فالالتزام يرتبط بالأدب التزاما موضوعيا وقد يرتبط بالحياة كذلك ارتباطا وثيقا، وهكذا فالأديب ابن بيئته يسعى دوما إلى ربط معاناته بالواقع المعيش، بحيث يحاول جاهدا لاستكشاف الحقائق الجوهرية التي تعمل على إثراء الخبرات وإيقاظ الشعور كما أن الأديب يسعى إلى إيجاد الحلول المبهمة والغامضة ومحاولة دراسة الحياة في صورة واضحة، وعليه فإن الالتزام في الأدب هو مشاركة الشاعر أو الأديب قضايا الناس وتطلعاتهم وحتى وجهات نظرهم المختلفة فيقف هذا الأديب أو الشاعر وقفة موضوعية لمواجهة تحديات المجتمع[4].

أما التزام الشاعر فالمراد منه: "وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في القضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال"[5].

فليس للشاعر مثلا أن يستغرق في التأمل في الجمال الغالب والخير المحض على حين يعاني وطنه ذل الاحتلال أو عناء الطغيان وليس له أيضا أن يسترسل في خيالاته ومشاعره الغريبة على حين وطنه

[1] – ينظر:أحمد طالب "الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة في الفترة ما بين (1931-1976)" ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، د.ت، ص: 9.

[2] – المرجع نفسه، ص: 20-21.

[3] – المرجع نفسه، ص: 21.

[4] – ينظر: العرباوي هاجر، "موقف الالتزام والإلزام من الادب"، متاح على الموقع: www.diae.net

[5] – محمد غنيمي هلال، "النقد الادبي الحديث"، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، القاهرة، د.ط، ص: 456.

من حوله أو طبقته الاجتماعية في وطنه تجاهد في سبيل آلام مشتركة وبهذا يتناول قضية التزام الشاعر مذهبان معاصران من مذاهب الأدب وهما: الواقعية الاشتراكية والوجودية[1].

ومن الأدباء الذين نادوا بالالتزام الناقد المعروف "محمد النويهي" الذي ألف كتابا سماه "الادب الهادف" وكان من قوله فيه أن الرسالة الملقاة على عاتق الفنان أيا كان، هي رسالة إنسانية تقتضي منه الإحساس بالحياة التي يحياها والسموّ في المجتمع.

أما الالتزام في الاصطلاح الحديث فهو لا يعني فقط الالتزام الأدبي لأن هناك أنواعا من الالتزام الأدبي : العقدي أو الخلقي أو السياسي كذلك لم يتفق النقاد والادباء على تعريف واحد للالتزام وذلك لاختلاف مذاهبهم ونزعاتهم فيعرفه الأمريكي "نورمان مالر" "Norman Mailer" بأنه نوع من الارتباط بشيء خارج الذات.

أما الدكتور "محمد غنيمي هلال" فقد قصر مفهوم الالتزام على الشعر فقط يقول، "ويراد بالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكرة والشعور والفن في القضايا الوطنية الإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال"[2].

ومما يمكن إضافته في مفهوم الالتزام هو أن الفكر ليس منفصلا عن العالم الذي يحيا فيه ولا هو مستقل عنه بل بالعكس من ذلك فهو غارق فيه، وليس العالم بالنسبة إليه مجرد مشهد يمر أمام ناظريه "إن العالم مسرح فعل ومكان للنشاط العلمي وليس المفكر مجرد مشاهد أو متفرج على كل ما يدور فوق هذا المسرح بل هو مشترك في التمثيل يمثّل دوره في مأساة الكون الموجود فيه"[3].

2- مفهوم الالتزام في الواقعية الاشتراكية:

يعد مكسيم غوركي "Maxime Gorki" أول من استخدم اصطلاح الواقعية الاشتراكية، فلقد اهتمّ بالطبقات الدنيا من المجتمع، كما ساهم في وضع الخطوط للواقعية، فيقول في هذا الصدد "غاية الأدب مساعدة الإنسان في فهم نفسه وتنمية إيمانه بها مع تنمية مساعيه الرامية إلى الحقيقة

[1] – ينظر: محمد غنيمي، "النقد الأدبي الحديث"، ص: 456.

[2] – عيد القدوس أبو صالح "الأدب بين الالتزام والإلزام"، 22 جمادى الأولى 1424، الموافق لـ: 22 يوليو 2013، متاح على الموقع: www.islamtoday.net.

[3] – أحمد أبو حاقة، "الالتزام في الشعر العربي"، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1997، ص: 15-16.

ومكافحة اللؤم بين الناس"[1]. فإذا وقف الإنسان على صعيد واحد مع الحياة وتعذر عليه أن يخلق بقوة خياله نماذج بشرية فلا فائدة من كتاباته.

ولعلّ من أبرز ملامح الواقعية: "إعطاء المزيد من الاهتمام الفني بالواقع المعيشي للناس والدفاع عن كيانه مع الاهتمام بتمجيد الناحية الاجتماعية"[2].

ولقد آمن الماركسيون بنظرية فكرية تتمثل في أن :"الفن يعبر عن مجموعة المبادئ أو المعتقدات الخاصة لطبقة من الطبقات"[3]، أي أن الماركسيون يعترفون فقط بالفن الذي يخدم الثورة ومتطلباتها بإخلاص.

كما ان المادية الجدلية تعتمد على فلسفة في الفن وهي أن: "الفنّ ليس أمرا خاصّا بالفنّان، بل له دوره وتأثيره في المجتمع وصراعاته وعلى ذلك فالفن لا يوجد في فراغ"[4]، وبهذا فالفنان يعالج موضوعه في دائرة المجتمع على أن يكون إيجابي النزعة.

كما أن الماركسيين يرون أن الفن هو نشر فكر إيديولوجي خاص ونظرة معينة اتجاه الحياة وفي ذات الوقت عليه أن يتبنى موقف جماعة اجتماعية ويعبر عنها فلا يمكن أن يكون هنالك استقلال مطلق عن مجتمعه فمثل هذا الاستقلال ليس إلا من وحي الخيال.

وبهذا يؤمن الماركسيون بنظرية الانعكاس فهم يرون أن الفنّ يخلق العالم ولا يعكسه فقط، فحينها يتمكن من عكس الواقع فلاشكّ في أنّه يستبيحُ لذاته القدرة على التدخّل المباشر في الواقع كما يعتقد الماركسيون أن فردية الفنان بالرّغم من هذا الالتزام الجبري مكفولة على الرغم مما يقوله نقادهم من أن الفنّان يديب ذاتية في واقعه الّذي يريد تصويره ولكنهم يضيفون إلى ذلك بأن: "الفنّان ما هو إلاّ جزء من عملية البناء الشيوعي وهو لذلك عليه أن يعكس بأمانة وصدق في فنه حياة الشعب"[5]. وبهذا سيؤدي به هذا البحث إلى السير نحو الطريق الأصيل للواقعية الاشتراكية والتي لا يستطيع الفنان أن يبتعد عنها أو ينتج في إطار خارج عنها لأنها حياة بلاده وشعبه.

---

[1] – رجاء عيد "فلسفة الالتزام في النقد "، ص: 124.

[2] – المرجع نفسه ، ص: 125.

[3] – المرجع نفسه، ص: 126.

[4] – المرجع نفسه، ص: 127.

[5] – المرجع نفسه، ص: 130

3- مفهوم الالتزام في الفلسفة الوجودية:

إن الالتزام في الفلسفة الوجودية له اتّجاهان، فالاتّجاه الأوّل سلبي والثّاني إيجابي، فالاتّجاه الأول يتضح في الخضوع للإملاء الذي يفرضه الآخرون على الذات فيحقق ذاته عن طريق الذوبان في المجموع، والاتّجاه الثّاني هو التزام إيجابي ينتج عن الرّفض لأنه أحكام سابقة.

فالالتزام يقوم على تحديد علاقة الإنسان بالآخرين مع ملاحظة أن هذا التحديد تضمُّه مجموعة من القيود تقلّل من مجال هذا الاختيار.

لقد جعل "جان بُول سارتر Jean Paul Sartre" من أدبه أدب التزام لموقف وهذا الموقف أخلاقي واجتماعي اتّجاه أي حدث سواء كان الحدث فرديا أو اجتماعيا أي أن القيمة الأخلاقية والاجتماعية في الأدب هي: "في الدرجة الأولى ثم تلي القيمة الفنية والجمالية"[1].

وبهذا فالالتزام حسب رأي "سارتر" هو اتحاد الأحداث التي يعيشها الكاتب ولكن شرط أن يحتفظ بحريته الفردية في الوقت نفسه، أي أن الالتزام تحيطه أخلاقية تمتدّ حتى تصل إلى جميع المسؤوليات البشرية.

إن الأدب الوجودي يدعى كذلك بأدب المواقف باعتبار انّ الكاتب يقوم بتحديد موقفه بالنسبة لمشكلات عصره وبناءً على هذا الفهم الالتزامي يصبح تصوير الكاتب لهذا العالم الذي يعيش فيه هو رسالته لا قيمة فيها لأي جمال شكلي يخلو من مضمون اجتماعي قائم على ركيزة الالتزام وبهذا فإن التزام "سارتر" السياسي لا علاقة له بالتزام الواقعيين الاشتراكيين وذلك لأن التزامه التزام بمشروعات ذاتية في السياسة وفي الحياة الاجتماعية أي التزام فردي، أما أصحاب الواقعية الاشتراكية فالتزامهم مشروط "بكل ما يراه الحزب الشيوعي والارتباط بسياسة محددة ارتباطا تاما، أي التزام يأتي من الخارج"[2].

إن الحديث عن العلاقة بين الأدب والحياة لم يعرفه النقد القديم وربما كانت أول عبارة في النظر النقدي قد أحكمت الربط بين الأدب والحياة هي عبارة الناقد والشاعر الإنجليزي "كولردج" Samuel Taylor Coleridge والذي يقر رفيها أن الأدب نقد للحياة، والأديب مطالب بأن يتفهم

[1] – رجاء عيد، "فلسفة الالتزام في النقد الادبي"، ص: 146.

[2] – المرجع نفسه، صك 148.

الحياة قبل أن يكتب وهو "لن يستطيع تفهمها إلا من خلال تجربته فيها ومعاناته الصميمية، وانخراطه في هذه التجربة و المعاناة إلى أبعد مدى"[1].

وبهذا نخلص أن فكرة الالتزام في الأدب فكرة حديثه هي وليدة عصرنا ولم يعرفها النظر النقدي في العصور الماضية، ومصطلح "الالتزام" هو مصطلح جديد في ميدان الأدب والواقع أن مفهوم الالتزام قد ارتبط إلى حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه ومدى علاقته بالحياة.

فالعمل الفني إذا هو "الذي يتم عن خبرة صاحبه والذي يضيف إلى خبراتنا القديمة مزيدا من الخبرة"[2]. فهذا المفهوم إذن يمثل نقطة تحول خطير في تاريخ النظر النقدي وفلسفة الفن بصفة عامة وذلك لخروجه في الواقع على المعيارين التقليديين لتقدير قيمة الفن.

إن ارتباط الاديب بقضايا عصره على اختلاف أنواعها ومشكلات الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه ليس شيئا غريبا على طبيعة الادب والأديب الحق في رأي عز الدين إسماعيل: "لا يمكن أن يعيش بضميرين، ضمير مع نفسه وضمير مع النّاس وإنما يواجه الأديب الحق نفسه هو و مجتمعه بضمير واحد لأنه يحس أن مشكلاته لا تنفصل عن مشكلات الناس"[3]. وليس معنى هذا أن الأديب ملتزم بالضرورة وإنما يتحقق الالتزام عندما يقدم الأديب للآخرين أعمالا إيجابية في تأثيرها تمسّ حياتهم ومشكلاتهم مسّا مباشرا.

ومما لاشكّ فيه أنّ كلّ مجتمع معاصر له قضاياه المحلية الخاصة به وهي قضايا يمكن أن تتشابه في مجتمع أو آخر لكنّها مع ذلك تبقى قضايا محلية، تنتظر الحلول السريعة وانهماك الاديب في القضايا الإنسانية المطلقة التي لا ترتبط بزمان أو مكان بعينه لا يمكن أن يعني أنه ليس أديبا وليس صادقا.

ولكي تلقى هذه القضايا استجابة من الجمهور المتلقي يجب أن تنعكس بشكل أو بآخر على حياة الناس.

---

[1] – عز الدين إسماعيل، "الشعر العربي المعاصر"، قضاياه وظواهره الفنية و المعنوية، دار الفكر العربي، ط: 03، ص: 372.

[2] – المرجع نفسه، ص: 374.

[3] – المرجع نفسه، ص: 375.

ومن ثم يتحدّد الالتزام في الأدب "بمدى ارتباط الاديب بقضايا الناس في مجتمعه وما يتقدم به من حلول لهذه القضايا أو بمجرد التنبيه إليها"[1].

إن قيمة العمل الفني تتحدد بالأثر الفعال الذي يتركه في نفوس الناس أيا كان الموضوع الذي يتحدث فيه، كما أن اهتمام الأديب وانشغاله بالمشكلات اليومية، المعايشة ليس أمرا تافها، لا يستحق من الاديب الاهتمام بها، لأن هذه المشكلات اليومية البسيطة "تشكل في مجموعها آخر الأمر صورة الحياة الّتي يحياها النّاس"[2].

[1] – عز الدين إسماعيل، "الشعر العربي المعاصر"، ص: 376.

[2] – المرجع نفسه، ص: 376.

الفَصْل الأَوّل

حياة الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي و آثاره.

المبحث الأول

حياة البشير الإبراهيمي

الفصل الأوّل: حياة الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي:

المبحث الأوّل: حياة البشير الإبراهيمي:

1- مولده: (1306-1385هـ/ 1889-1965م)

يعدّ محمّد البشير الإبراهيمي من أبرز رواد الإصلاح في الجزائر، وهو من أبرز رؤساء جمعية العلماء المسلمين بعد وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس وهو بالإضافة إلى ذلك عضو من أعضاء المجامع العلمية، العربية والإسلامية.

فقلد "ولد محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي في قصر الطير في قبيلة ريغة الشهيرة بأولاد إبراهيم بدائرة سطيف والتي يرتفع بنسبها إلى إدريس بن عبد الله، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب"[1]، وهو "وحيد والديه من الذكور وله أخوات"[2].

2- نشأته وتكوينه:

لقد نشأ محمّد البشير في بيت علم، وقد هاجر بعض أفراده إلى القاهرة لطلب العلم، فكان وصولهم إلى القاهرة سببا في انتشار أسماء مشايخ الازهر في عائلاتهم، ولقد تتلمذ البشير الإبراهيمي على يد مشايخ القرية، فلما بلغ سن السابعة من عمره حفظ القرآن الكريم، وكان ذلك على يد عمه "محمد المكي الإبراهيمي"، كما درس لابن مالك وبعض العلوم الدينية، فلما بلغ سن الرابعة عشر من عمره، وبعد وفاة عمه شرع البشير الإبراهيمي "بتدريس العلوم التي أجاز عمّه له أن يدرسّها إلى الطلاّب الذين تقاطروا عليه من القرى المجاورة"[3].

ولقد تحدّث البشير الإبراهيمي عن نشأته قائلا: "نشأت في بيت والدي كما ينشأ أبناء بيوت العلم، فبدأت في التعلّم وحفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بيتنا الشائع

[1] – عادل نويهض، "معجم أعلام الجزائر"، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الأبحاث، الجزائر، ط:1، 1434 هـ / 2013م.

[2] – سليمة كبير، "الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي"، أمير البيان وحامي الشخصية الوطنية، المكتبة الخضراء، الجزائر د.ط، د.ت، ص: 08.

[3] – نبيل أحمد بلاسي، "الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص: 121.

في بلادنا ... ويشرف علينا إشرافا عاليا عالم البيت بل الوطن كله في ذلك الزمان عمي شقيق والدي الأصغر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي رحمه الله-، وكان حامل لواء الفنون العربية غير مدافع"[1]

وبهذا نشأ البشير الإبراهيمي ككل أبناء البيوتات الريفية الأخرى، فكانت حياته قائمة على البساطة و"الطهارة في السلوك و المتانة في الأخلاق والاعتدال في الصحة البدنية"[2].

3- رحلته إلى المشرق العربي:

عندما بلغ محمّد البشير الإبراهيمي سن العشرين، كانت نفسه قد تاقت للهجرة إلى المشرق العربي، فجاء السبب المباشر الذي عجّل بهجرته وهو استدعاؤه لأداء الخدمة العسكرية في صفوف الجيش الفرنسي وهو ما ترفضه نفسه رفضا تامّا ففضل اللّحاق بوالده في المدينة المنورة، وكان ذلك سنة 1911م[3]. وهناك في المدينة المنورة التقى البشير الإبراهيمي بالشيخ بن باديس وكان لقاؤهما في مكان مقدس، وهناك وضعا خطة العمل التي تسهم في نصرة الشّعب الجزائري، وبهذا كان لقاؤهما في الأراضي المقدسة هو أول لقاء بين هذين الرجلين الجليلين على الرغم من انتسابها إلى وطن واحد ويجاهدان من أجل مبدأ واحد ألا وهو مبدأ العلم. وقد يبدو ذلك غريبا ولكن ظروف الحياة هي التي حالت بين لقاؤهما في الجزائر، فكان كل واحد منهما في مدينة وكل واحد منهم مشغول بأخذ العلم وتدريس الطلاب في الوقت ذاته ولقد اتّجه الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تونس ليتم تعليمه في جامع الزيتونة "وكان جامع الزيتونة في ذلك الوقت من أعظم وأكبر المراكز العلمية في شمال إفريقيا"[4].

أما البشير الإبراهيمي فلقد دامت زيارته الأولى لمدينة القاهرة ثلاثة أشهر وقد أمضاها في لقاء علمائها وأدبائها ثم اتجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة حيث التقى بوالده هناك، وفي هذه المدينة المقدسة واصل الإمام البشير دراسته فبدأ بدراسته لكتاب "الموطأ للإمام مالك، دراسة تحليلية عميقة، كان

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، "أنا"، دار الأمّة، الجزائر، ط 02، 2007.، ص: 12.

[2] – سليمة كبير، "الشيخ البشير الإبراهيمي"، ص: 09

[3] – المرجع نفسه، ص: 10.

[4] – عادل نويهض، معجم"أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص: 18.

يعاونه فيها أحد علماء المدينة المنورة وهو المرحوم الشيخ الوزير التونسي"[1]. فكان في الوقت ذاته يتابع دراسته للأحاديث النبوية الشريفة، فحفظ عن ظهر قلب (صحيح مسلم)، ولم يقتصر جهده على ذلك بل كان يذهب إلى المكتبات العلمية في المدينة المنورة ويحاول فهم كل ما تحتويه من مخطوطات علمية ثمينة[2]. ولما قامت ثورة الشريف حسين بن علي المعروفة أمرت الحكومة العثمانية بأخذ سكان المدينة المنورة إلى دمشق وكان عدد المهجرين يزيد عن الثمانين ألفا، وكان من بينهم البشير الإبراهيمي ووالده، أمّا الشيخ عبد الحميد بن باديس فكان قد رحل قبل ذلك إلى وطنه الجزائر لكي يشرع في تنفيذ المخططات التي وضعها مع الإمام البشير الإبراهيمي أثناء لقاؤهما في المدينة المنورة.

ولما استقر الإمام البشير الإبراهيمي في الشام، بدأت المدارس المختلفة تتنافس للفوز به "كأستاذ يلقي المحاضرات على طلبتها،و احتفى به علماء مدينة دمشق احتفاءً عظيما وطلبوا منه إلقاء دروسا في الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي بمناسبة حلول شهر رمضان المعظّم"[3]. فكانت صياغة البشير الإبراهيمي لمواعظه صياغة ذات أسلوب متطور، يتناسب مع العصر ولا يلتزم بالتعقيد اللفظي لذلك كان إقبال الناس كبير للاستماع إلى مواعظه إقبالا شديدا.

لقد سارعت الحكومة الوطنية إلى دعوة الإمام البشير الإبراهيمي ليكون أستاذا للآداب في المدرسة السلطانية، ولقد تتلمذ على يديه "عدد كبير من أبناء الشام الذين أصبحوا فيما بعد من طلائع وفحول العلماء والأدباء في الأمة العربية، أمثال الشيخ الطنطاوي والشاعر الحوماني"[4].

لقد أقام البشير الإبراهيمي في مدينة دمشق حتى سنة 1920م، فبالرغم من تواجده خارج وطنه إلا أنه كان دائم التفكير في الجزائر، وممّا قاله البشير الإبراهيمي في هذا الصّدد، وهو خارج وطنه قوله: "لا تنسى أنّني كنت لك من عهد التّمائم إلى عهد العمائم[5]، ما شُغلت عنك إلاّ بك، ولا

[1] – عادل نويهض، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص: 28.

[2] – المرجع نفسه، ص: 28.

[3] – المرجع نفسه، ص: 31.

[4] – المرجع نفسه، ص: 33.

[5] – أي أنّه كان لوطنه منذ أن كان طفلا صغيرا يضعون له التّمائم اتّقاء الحسد، حتى أصبح عالما يضع العمامة على رأسه.

خرجت عنك إلاّ عائد إليك خطّت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني وأنت موثقة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني وأنت مطلقة"[1].

4- عودة البشير الإبراهيمي وعلاقته بابن باديس:

عاد الإبراهيمي إلى الجزائر سالما في نهاية سنة 1920، حاملا معه مشعل العلم والمعرفة وقد تشبّع فكره بالنّهضة العلمية والأدبية فكان رجوعه وبيده هذا السّلاح القويّ، من أهمّ الأسباب في إحياء الدّين واللّغة العربيّة والقضاء على البدع والضّلال.

أما الشّيخ عبد الحميد بن باديس فقد مهّد الطّريق إثر عودته من الحجاز في نفس السنة وذلك قبل أن يلتحق به البشير الإبراهيمي بفترة زمنية تقرب ثمان سنوات فبدأ فيها هذا الشيخ الجليل حركته التعليمية والإصلاحية، فكانت فكرة الإصلاح في مبدأ ابن باديس تمثّل "مفهوم الجهاد والثورة على الأوضاع القائمة في الجزائر"[2].

وبمرور السّنوات التحق البشير الإبراهيمي بأخيه ابن باديس والذي كان يترقب عودته بفرح وتفاؤل كبير، فرأى الإبراهيمي أن ابن باديس وقد وضع المرتكز للنهضة العربية في الجزائر وحان دوره في محاربة الشرور والآفات الفكرية بالكلمة وليس بالسلاح، وبهذا أصبح البشير الإبراهيمي العضُد الأيمن لابن باديس فكان هدفهما الوحيد هو: النهوض الحضاري بالمجتمع الجزائري، فاقتضى الأمر أن يكون الهدف والوسيلة مختلفان بين كل واحد منهما، وذلك أثناء تشاورهما، فيرى ابن باديس أن الرأي هو :"صرف القوّة كلّها وتوجيه جهود متضافرة إلى التّعليم المثمر وتكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم، مطبوعة بالطّابع الإصلاحي علما وفعلا"[3]. وأمّا الثّاني فيرى أنّ الرّأي هو :"أخذ المبطلين منافسة والهجوم عليهم وهم غارون وإشعار العامة المغرورة صوت الحق فصيحا غير مُجمجم"[4].

---

[1] – عادل نويهض، البشير الإبراهيمي، عظيم من الجزائر، ص: 33.

[2] – محمد عباس، "البشير الإبراهيمي أديبا"، دار الفجر وهران، د.ط، د.ت، ص: 40.

[3] – المصدر نفسه، ص: 41.

[4] – المصدر نفسه، ص: 42.

وبهذا رجّح الرأي الثّاني بالاتّفاق وكان ذلك بدافع موضوعي وهو أنّ الجزائر في خطر وقد انهالت عليها قوى الشّرّ، والّتي كانت تريد طمس الشخصية الجزائرية، وبهذا دخل الرأي الثّاني في حيّز التّنفيذ العملي وأخذ طابع العنف والثّورة وظهرت بذلك أول صيحة للتحدّي بلهجة واضحة في جريدة المنتقد[1]، وهي جريدة ذات اتّجاه إصلاحي تمثّل في شعارها بكلّ وضوح "الحقّ فوق كلّ أحد والوطن قبل كلّ شيء"[2].

لقد كانت الصّلة بين البشير الإبراهيمي وابن باديس وثيقة الرّوابط تهدف من ورائها إلى تأسيس جمعية إسلامية باسم الإخاء العلمي وذلك من أجل جمع شمل الطلبة والعلماء وتوحد جهودهم فوضع ابن باديس بذلك قانونا أساسيا لهذه الجمعية في ليلة وفي صباحها قرأه على الإبراهيمي وبعد ذلك عرضه على الجماعة التي كان ينبغي تكوين المجلس منها، فتمت الموافقة على الفكرة، فكانت هذه العملية أول بادرة تنظيمية ينفرد بها ابن باديس والبشير الإبراهيمي وإن لم يكن لهذه الجمعية فيما بعد وجود لكن نتجت عنها جمعية أخرى أخذت شهرتها تحت اسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 ومنها كانت المبادئ ومنها كان الجهاد وكان المستقبل "فما من أحد يتعرض ليقظة الجزائر ونهضتها الأخيرة إلا ويذكر جمعية العلماء ويذكر معها ابن باديس والبشير الإبراهيمي وهما اللّذان اشتركا في تأسيسها وقاما على أمرها وتعاقبا على رئاستها"[3].

5- منفاه ومعتقله:

في سنة 1940م نفي الإبراهيمي إلى صحراء وهران وبعد وصوله إلى المنفى توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس بأسبوع، فتمّ انتخاب البشير الإبراهيمي رئيسا للجمعية، ودام مكوثه في معتقل آفلو الصحراوي من سنة 1940 إلى 1943م وبعد إطلاق سراحه أنشأ الإبراهيمي "في عام واحد ثلاثا وسبعين مدرسة وكتابا وكان الهدف من ذلك هو : نشر اللغة العربية وجعل ذلك عن طريق

[1] – جريدة أسبوعية أصدرها ابن باديس صدر أول عدد منها يوم الخميس الثاني من يوليو (جويلية) سنة 1344 هـ -1925م.

[2] – محمد عباس، "البشير الإبراهيمي أديبا"، ص: 42.

[3] – المصدر نفسه، ص: 43.

تحفيظ القرآن الكريم"[1]. بالإضافة إلى إسهامات الجزائريين الذين تسابقوا إلى بناء المدارس فزادت على أربعة مئة مدرسة.

وفي سنة 1940 زُجّ بالبشير الإبراهيمي في السّجن العسكري ولقي تعذيبا شديدا من قِبل الفرنسيين، ثمّ أفرج عنه، فقام بعد ذلك "بجولات في أنحاء الجزائر لتجديد النشاط في إنشاء المدارس والأندية والكتاتيب"[2]. ثمّ استقر به المقام سنة 1952م بالقاهرة وحين "اندلعت الثّورة التحريرية سنة 1954م قام برحلات إلا الهند وغيرها لإمداد الثورة بالمال والسلاح"[3].

6- البشير الإبراهيمي يقود جمعية العلماء:

لقد تركز نشاط جمعية العلماء في الفترة الممتدة من سنة 1946 إلى غاية 1954 على بناء المدارس وذلك لتعليم اللّغة العربية وجمع المال لتوظيف الأساتذة وإرسال البعثات من الجزائر إلى المشرق العربي وإقامة العلاقات المختلفة مع دول المشرق العربي، وحتى يتحقق كل ذلك قامت جمعية العلماء بإرسال رئيسها البشير الإبراهيمي إلى القاهرة سنة 1952 لكي يقيم العلاقات والصلات مع الدول العربية والإسلامية في المشرق بالإضافة إلى تعريفه بالقضية الجزائرية هناك.

ولقد كانت جمعية العلماء من أهمّ التّنظيمات السّياسية وأكثرها نجاحا بعد الحرب العالمية الثانية في الميدان الإعلامي، حيث قامت بنشر جريدة البصائر بطريقة منتظمة حتى قيام ثورة التحرير، وبذلك كان لها دور كبير في توعية الشعب الجزائري، وكانت مبادئها الثلاثة تتمثّل في "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"[4].

وابتداءً من فبراير 1952 أعطت جمعية العلماء المسلمين قرارا بتعيين "أحمد توفيق المدني" أمينا عاما لجمعية العلماء فكان له نجاح كبير في جريدة البصائر، بحيث اتّخذ منها وسيلة في المضي قدما نحو التقدم وإضاءة طريق الحرية في الجزائر، أمّا بالنسبة للشيخ البشير الإبراهيمي فكان ينتقل إلى

[1] – عبد الله العقيل، "من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة"، الجزء 1، دار البشير، ط 7، 1429 هـ، 2008م، ص: 803.

[2] – المرجع نفسه، ص: 803.

[3] – المرجع نفسه، ص: 803.

[4] – عمار بوحوش، "التّاريخ السياسي للجزائر"، من البداية ولغاية 1962، دار البصائر، ط: 3، 2008م، الجزائر، ص: 269.

الخارج لتوطيد العلاقات بين جمعية العلماء والدول العربية الإسلامية، بالإضافة إلى مجهوداته الجبارة في التعريف بالقضية الجزائرية وهذا ما أشار إليه الدكتور فاضل الجمالي بقوله: "لقد عرفت الشيخ البشير الإبراهيمي مسلما صادقا في إسلامه وعالما مجاهدا في سبيل أمّته وكان له الفضل الكبير في تعريف الأوساط الشعبية العراقية بالقضية الجزائرية"[1]

7- وفاته:

عاد البشير الإبراهيمي إلى الجزائر المستقلة سنة 1962 ولكنه لم يمكث فيها طويلا[2]، إذ توفي يوم "20 ماي 1965 الموافق لـ 19 محرم 1385هـ بالجزائر العاصمة"[3]. وذلك بعد تفشي مرض عضال في جسده، وبعد أن أجبرته حكومة الاستقلال على الإقامة الجبرية في منزله.

وهكذا يلتحق البشير الإبراهيمي بالرفيق الأعلى ونفسه متحسّرة على التّيه والضلال الذي أعمى أبصار حكام الجزائر، فابتعدوا عن طريق الإسلام والعروبة، هذا الطريق الذي ضحى من أجله قوافل الشهداء بدءاً من "الصحابي الجليل عقبة بن نافع و صحابة الرسول –صلّى الله عليه وسلم– إلى آخر شهيد روى بدمائه الطاهرة أرض العروبة والإسلام"[4]. في الجزائر وفي سائر بلاد الإسلام سالكا درب الشهداء من الصحابة والتّابعين ومن سار على خطاهم أولئك الذين {صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}[5].

---

[1] – عمار بوحوش، "التّاريخ السياسي للجزائر"، من البداية ولغاية 1962، دار البصائر، ط: 3، 2008م، الجزائر، ص: 271

[2] – ينظر: نور سلمان "الادب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص: 396.

[3] – أحمد عيساوى، "أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر"، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط:1، 1433هـ، 2012، ص: 594.

[4] – المرجع نفسه، ص: 595.

5– الآية 23 من سورة الأحزاب.

المبحث الثّاني

آثار محمّد البشير الإبراهيمي

المبحث الثاني: آثار محمّد البشير الإبراهيمي:

1- مؤلفاته:

لقد ترك البشير الإبراهيمي مجموعة من المؤلفات اللّغوية والأدبيّة كما خلّف لنا عددا كبيرا من المقالات المكتوبة في جريدة مجلة الشهاب 1925-1939 وجريدة البصائر في سلسلتها الأولى 1935 - 1939م وفي سلسلتها الثانية، وكان البشير الإبراهيمي رئيس تحريرها منذ إنشائها وإلى غاية توقفها، أما كتبه فهي كالآتي:

أ. "مقالات عيون البصائر.

ب. بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر.

ت. النقايات والنفايات في لغة العرب.

ث. أسرار الضّمائر العربية.

ج. التسمية بالمصدر.

ح. الصفات التي جاءت على وزن فَعَلَ بفتح العين.

خ. نظام العربية في موازين كلماتها.

د. الإطراد والشّذوذ في العربية

ذ. ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السّائرة"[1].

كما كتب الإبراهيمي مجموعة من الرّسائل ومن بينها:

- "رسالة الضبّ"[2]
- "رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.
- رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية.

بالإضافة إلى هذا كلّه كانت له إبداعات روائية من بينها: "رواية كاهنة الأوراس"[1]، ورواية الثلاثة المشهورة[2].

[1] - أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح الإسلامي، ص: 590.

[2] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر...،ص: 19.

كما كتب أيضا كتبا دينية مثل: كتاب مشروعية الزكاة في الإسلام وكتاب آخر عنوانه: شعب الإيمان، وأما في مجال الشعر فقد ترك لنا أرجوزة ملحمية عظيمة[3].

2- تصنيف مؤلفاته:

إذا أردنا تصنيف مؤلفات البشير الإبراهيمي، فسيكون تصنيفها إلى ثلاثة مجالات: مجال الدراسات اللّغوية، الأدبية، والإسلامية.

أ. مجالات الدراسات اللغوية:

- كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر.
- كتاب النفايات والنقابات في لغة العرب.
- كتاب أسرار الضمائر في العربية.
- كتاب التسمية بالمصدر.
- كتاب الصفات التي جاءت على وزن فعَل بفتح العين.
- كتاب نظام العربية في موازين كلماتها.
- كتاب الإطراد و الشذوذ في العربية.
- رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
- رسالة ترجيح ان الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.
- رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية"[4].

ب. في مجال الدراسات الأدبية:

- "كتاب عيون البصائر

---

[1] – أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، ص: 591

[2] – ينظر محمد عباس، "البشير الإبراهيمي أديبا"، ص: 712.

[3] – ينظر، أحمد عيساوي، اعلام الإصلاح في الجزائر، ص: 591.

[4] – محمد عباس، "البشير الإبراهيمي أديبا"، ص: 70-71.

- رواية كاهنة الاوراس.
- رواية الثلاثة.
- رسالة الضب.
- كتاب ما أخلت به كتب الأمثال السائرة.
- أرجوزة شعرية.
- كتاب آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.
- كتاب آثار محمد البشير الإبراهيمي"[1].

ت. مجال الدراسات الإسلامية:

- "كتاب حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام.
- كتاب شعب الإيمان"[2].

كما نجد للإبراهيمي مجموعة من المقالات والأعمال الأدبية المهمة والتي كتبها على الصحف والمجلات ومن بينها:

- "الحقائق العريانة: البصائر العدد الأول 1947.
- استهلال: البصائر العدد الأوّل 1947"[3].

[1] – محمد عباس، "البشير الإبراهيمي أديبا"، ص: 71-75.

[2] – المصدر نفسه، ص: 76.

[3] – نور سلمان، "الادب الجزائري في رحاب الرّفض والتّحرير"، ص: 416

3- التّعريف بمؤلفاته:

أ- عيون البصائر: وهي من المقالات التي كتبها الإبراهيمي بقلمه في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية.

ب- كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر: وقد تتبع فيها الإبراهيمي اللهجة السائدة في مواطن بني هلال بن عامر.

ت- كتاب النقايات والنفايات في لغة العرب: جمع فيه كلّ ما جاء على وزن فعالة من مختار الشيء أو مرذوله.

ث- رسالة الإطراد والشذوذ في العربية : رسالة في الفرق لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.

ج- رواية كاهنة الأوراس: وقد كتبها الإبراهيمي بأسلوب مبتكر رائع، جمع فيها بين الحقيقة والخيال[1].

ح- رواية الثلاثة: و هي عبارة عن مسرحية تحتوي على نحو 881 بيتا، كتبها الإبراهيمي وهو في منفاه آفلو، ولقد تم طبع هذه المسرحية من قبل أحد تلامذته، كما تم طبعها أيضا من طرف الشركة الوطنية للنشر في نهاية كتاب آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزء الأول (1398هـ - 1978م) مع حذف بعض الألفاظ غير المهذبة أخلاقيا، كان الإبراهيمي قد وظّفها في هذه المسرحية[2].

خ- رسالة الضب: وهي عبارة عن بحث علمي، تضمن الوصف الدقيق لحقائق علمية عن أصل هذا الحيوان وعن فصيلته وعن أسلوب حياته وصفاته وتكاثره، وأهمية هذا الحيوان في حضارات الأمم، ومن الأسباب التي دفعت الإبراهيمي للكتابة حول هذا الموضوع: أن رجلا من جلساء الإبراهيمي زاره مرة في المنفى بمدينة آفلو ومعه ضب محنط أهداه لأحمد

[1] - ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، (1954-1964)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص: 289.

[2] - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 72.

بن البشير الإبراهيمي وهو طفل "فأوحت له ثقافته العلمية والأدبية أن يكتب في هذا الموضوع"[1]، وقد طبعت هذه الرسالة ضمن مجموعة الآثار للإبراهيمي[2].

د- كتاب حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام: وقد شرع في كتابة هذا الكتاب منذ إقامته بدمشق بعد الحرب العالمية الأولى وأتمه بعد ذلك بفترات بحث فيه عن ينابيع المال في الإسلام بالإضافة إلى استخراجه ينابيع أخرى غير منصوصة يعود إليها جماعات المسلمين إذا أهمهم أمر أو فاجأتهم حادثة.

ذ- كتاب شعب الإيمان وقد ضمن فيه الكاتب الأخلاق والفضائل الإسلامية.

ر- ملحمة رجزية : وهي أعظم إنتاج أدبي دونه الإبراهيمي ولقد نظمها وهو في منفاه، ويبلغ عدد أبياتها ستة وثلاثين ألف بيت من الرجز السلس اللزومي في كل بيت منه، وقد احتوت على عدة مواضيع منها: تاريخ الإسلام والوصف لمكائد الاستعمار ودسائسه وتحذيراته للشعوب.

وأختم هذا المبحث بقول للبشير وهو يتحدث عن مؤلفاته، يقول: "لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الاعمار أكلا ولكنني أتسنى بأنني ألفت للشعب رجالا وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما، عربيا وصحّحت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيّا وحسبي هذا مقربا من رضى الرّب ورضى الشعب"[3]

أما عن الأسباب التي جعلت الإبراهيمي لا يفكر في طبع كتبه فيلخصها في قوله هذا: "تركت مسودات مؤلفاتي كلها بالجزائر ولم أصحبها معي لتطبع أو يطبع بعضها هنا كما كنت آمل لأني لم أشأ أن أخلط عملا عموميا للجزائر بعمل شخصي لنفسي"[4].

[1] - أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 92.

[2] - ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 72.

[3] - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص: 288.

[4] - المصدر نفسه، ص: 21.

4- نمادج من شعره:

لقد عُدّ البشير من علماء الجزائر نظرا لثقافته الواسعة، وخبرته في مختلف الميادين وبخاصة ميدان الإصلاح والخطابة والصحافة، بالإضافة إلى ذلك كان عالما بالأدب شعره ونثره فلقد كان البشير الإبراهيمي شاعرا فذًّا، فتميز شعره بصدق العاطفة والإحساس.

ولقد نظم هذا الجليل الكثير من الأبيات والتي أغلبها من نوع الرجز، إلاّ أنّه لم ينشر منها إلا القليل.

يقول الإبراهيمي في إحدى قصائده:

سَـكَتَ، فقَالوا: "هــدنة من مُـسالمِ * وقُلت، فقالُوا: ثورة من مُــحـاربِ**

وبينَ اختلاف النُّطق والسَّكت للنُّهَى * مجـــال ظـنون، واشـتباه مساربِ**

وَمَا أنـــــا إلاَّ البحر: يَلقاَك ساكنًا * ويَلقـــاك جـــيَّاشًا مهولَ الغَواربِ**

ومَا في سُكون البحرِ مَنجَاةُ راسِــب * ولاَ في اِرتِجـاج البَحـر عِصمة ساربِ**

إلى أن يقول:

ومِن قَلَمي أَنهَلــتُ سَحـائِبُ نِقمَة * عَليهم بـــوَدْقٍ مِـن سِمَام العقـاربِ**

يا نفسُ لا يقعُد بكِ العجز، وانهَضي * بِنُصـــــرة إِخـــوَان، وغَوْثِ أقاربِ[1]**

كما نجد الإبراهيمي قد نظم أبياتا في اللّغة العربية يقول مثلا:

نَغـــــارُ عَـــن أَحسابِنا أَن تَمتهِن * والـــــحُرُّ عَن مَجـد الجُدودِ مُؤتَمِن**

وَ لُغـــةُ الــعَربِ لِســـانُ مُمتَحِن * إن لَـــم يَــذُد أَبـنَاؤه عَنهُ، فَمَن؟**

ولقد ورد هذا القول لمحمد البشير الإبراهيمي في قصيدة رجزية بعنوان: الإسلام، نشرها في كتاب عيون البصائر، ولقد قال في مقدمتها: "أبيات من الرجز كنت أنظم كلّ أربعة منها في إطار بجانب أسهم الجريدة، والجريدة المقصودة هنا: البصائر السلسلة الثانية، ثم تضمنتها للملحمة الرجزية

[1] – الربعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، الجزائر ط 1، 2002، الجزء الأول، ص: 05.

من نظمي وهي تبلغ عشرات الألوف من الأبيات منها نحو خمسة آلاف في تاريخ الإسلام وحقائقه"[1].

ونخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن حياة البشير الإبراهيمي مرّت بعدّة مراحل مختلفة، فكلّ مرحلة امتازت بمجموعة من الخصائص ولكن في الحقيقة كلّ هذه المراحل لم تكن سهلة، لأن الإبراهيمي بدأ منذ نشأته في تحصيل العلم ولم يترك للفراغ حيّزا في حياته، فاغتنم الوقت كلّه في طلب العلم والدّفاع عن وطنه مستعينا بقلمه في تحقيق ذلك.

كما أنّ تولّي البشير الإبراهيمي لرئاسة الجمعية (جمعية العلماء المسلمين) كان له دور كبير في إحياء الشعوب من غفلتها أيضا في النّهضة العلمية، كما أنّ له الفضل في التّطوّرات والإنجازات التي عرفتها هذه الجمعية، ولقد بذل الإبراهيمي كل ما في وسعه ليعيش وطنه في حرية واستقلال، فل يمت إلاّ بعد تحقيق غايته وبذلك كانت وفاته مأساة للشعب الجزائري بأكمله.

[1] – الربعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، ص: 06.

الفَصْل الثَّاني

فنّ المقال عند البشير الإبراهيمي.

المبحث الأول

مفهوم المقال وأنواعه.

الفصل الثّاني:

المبحث الأوّل: مفهوم المقال ونشأته:

هناك نفر من النّاس يجدون لذة فائقة في الحياة عندما يطلون على أنفسهم، ليفكروا في أمر هذا العالم الّذي يحيط بهم، وهم يجدون في هذه الحياة الّتي يحيونها متعا لا تعد ولا تحصى، لأنها تهيّء لهم ساعات من الفراغ يقضونها في التأمل والتّفكير.

إن رجل الفكر والتأمّل يبحث عن التّجارب الحيوية التي يغوص في لجتها ويستغرق فيها لأنه يجد في التجربة ذاتها متعة ولذة فإذا ما اجتاز مثل هذا الرّجل مرحلة التّأمل إلى مرحلة التّعبير فإن وسيلته الأولى هي "المقالة"[1] فما هو تعريف المقال. لغة واصطلاحا؟

1- تعريف المقال:

أ. لغة:

"جاء في معجم مختار الصحاح: (قال) يقول (قولا) وقولة ومقالا ومقالة، ويُقال كثر (القيل) و(القال)، وفي الحديث نهى عن قيلٍ وقالٍ، وهما اسمان.

ويُقال أيضا تقوّل عليه: كذب عليه و(قاوله) في أمره و(تقاولا) أي تفاوضا"[2].

أما في معجم مصطلحات الأدب فجاء مفهوم المقال فيه على "أنه بحث موجز في شأن من شؤون الكون والحياة، والإنسان، وهو أنواع منه الأدبي والسياسي والاجتماعي"[3].

ب. اصطلاحا:

لقد وردت تعاريف متعددة لكلمة (المقال)، وجاءت جميعها تتنوع ووجهة نظر الأدباء والنقاد من جهة، وتتفق من جهة أخرى مع تطوّر هذا الفنّ ، واختلاف المذاهب في النّظر إلى ميادينه ومناحي التجديد فيه.

---

[1] – ينظر: محمد يوسف نجم، "فن المقالة"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 04، 1966، ص: 943.

[2] – محمد بن ابي بكر الرازي "مختار الصحاح"، مكتبة لبنان، المجلد الأوّل، 1986، ص: 232.

[3] – محمد بوزواوي، "معجم المصطلحات الأدب"، الدار الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، د.ت، ص: 273.

فالنّقاد لم يتفقوا على مفهوم محدد للمقال الأدبي ويعود ذلك في نظر الدكتور طلعت صبح السيد إلى تأخر نشأة المقال إذا ما قورنت بالفنون الأدبية الأخرى[1].فيعرف الدكتور صمويل جنسون "Samuel Johnson" المقالة: "نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام هي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها"[2].

أما "موري" "Mori" في قاموسه فقد تنبه للتغيرات التي طرأت على المقالة الحديثة فعرفها بأنها: "قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو حول جزء منه"[3].

كما عرف "ادموند" "Edmund Goose" المقالة في بحثه المنشور في دائرة المعارف البريطانية بقوله: "المقالة باعتبارها فنّا من فنون الأدب هي قطعة إنشائية ذات طول معتدل تكتب نثرًا وتلمّ بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة وسريعة، ولا تعني إلاّ بالنّاحية التي تمسّ الكاتب عن قرب"[4].

أمّا بالنسبة لمفهوم المقالة عند الأدباء العرب قول الدكتور شوقي ضيف في كتابه "الأدب العربي في مصر": "إنّ المقالة قالب قصير قلّما تجاوز نهرا أو نهرين في الصحيفة، ولم يكن العرب يعرفون هذا القالب إنما عرفوا قالبا أطول منه يأخذ شكل كتاب صغير وهم يسمونه الرّسالة"[5].

إذ أن الأصل الاشتقاقي لكلمة (مقالة) تشير إلى المحاولة وما في معناها أي أن الكاتب المقال إنما يحاول عرض أفكاره ومشاعره بأقل قدر ممكن من القيود.

كما أنّ رواد المقالة العرب في العصر الحديث لم يرو في المقالة فنّا أدبيا جديدا ومن هنا وجدناهم يسمونها (نبذة) أو (فصلا) أو (رسالة أدبية).

وإلى جانب هذا المعنى فقد استخدم لفظة (مقالة) بمعنى بحث أو مذهب من المذاهب الدينية، وقد استخدمها "أبو الحسن الأشعري" في كتابه (مقالات الإسلاميين) بمعنى المذهب وبهذا المعنى

---

[1] – ينظر: طلعت صبح السيد، "المقالة في الأدب العربي"، ط: 1، 1427هـ/ 2006، ص: 67.

[2] – محمد يوسف نجم "فن المقالة"، ص: 94.

[3] – المرجع نفسه، ص: 94.

[4] – المرجع نفسه، ص: 94.

[5] – إبراهيم عوض، "فنون الأدب في لغة العرب"، دار النّهضة العربية، القاهرة، 1429هـ/ 2008م، ص: 186.

نفسه استخدمها "أبو حيان التوحيدي" في وصفه "الصاحب بن عباد"، بقوله: "إن الرجل كثير المحفوظ، حاضر الجواب فصيح اللّسان ... ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية"[1].

فالمقالة الأدبية عند "علي شلق" مثلا هي: "التي تنطلق من تاريخ الأدب ونقده وتحليل نصوصه وتحقيق مخطوطاته، وإعلان رأي طريف يفتح الباب لدراسة مستفيضة"[2].

ومن هذه التعريفات المختلفة نخرج بتعريف يكاد يشملها جميعا وهو: "أنّ المقالة الأدبية قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق".

2- أنواع المقال:

أ. المقالة الذاتية:

إنّ المقالة الذاتية في نظر الدكتور "محمد يوسف نجم" هي تلك التي يصطنع كتاب النثر الفني وسيلة للتعبير عن إحساسه بالحياة وتجربته فيها"[3].

ومن وجهة نظر أخرى هي: "المقالة التي تعتمد على تأمل عميق وتجربة ذاتية وعناية بالأسلوب من النواحي الجمالية، وأنها أوفى طولا وأكثر انطلاقا"[4].

وعلى هذا فقوام هذه المقالة هو شخصية الكاتب، وطريقته في التّعبير عن نفسه والغاية الأولى فيها هو تصوير البيئة المكانية التي يعيش فيها الكاتب كما تتراءى في أحاسيسه ومن أشهر كتاب المقالة الذاتية: مصطفى صادق الرافعي والعقاد، وطه حسين وغيرهم.

ومن نماذج المقالة الذاتية "مقالة القشور واللّباب" لجبران خليل جبران يقول فيها: "ما شربت كأسا علقمية إلا كانت ثمالتها عسلا، وما صعدت عقبة حرجة إلا بلغت سهلا أخضر وما أضعت صديقا في ضباب السّماء إلا وجدته في جلاء الفجر.

---

[1] – ربيعي عبد الخالق، "فن المقالة في الأدب العربي الحديث"، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، د، ت، ص 94.

[2] – نبيل حداد، "في الكتابة الصحفية"، (السمات، المهارات الأشكال، القضايا)، دار الكندي، الأردن، 2002م، ص: 212.

[3] – طلعت صبح السيد، المقالة في الأدب العربي، ص: 92.

[4] – المرجع نفسه، ص: 92.

وكم مرّة سترت ألمي وحرقتي برداء التجلّد متوهّما، أن في ذلك الأجر والصلاح ولكنّني لما خلعت الرّداء رأيت الألم قد تحوّل إلى بهجة والحرقة قد انقلبت بردًا وسلاما.

وكم سكرت بخمرة الذات فحسبتني حملا وذئبا، حتّى إذا ما صحوت من نشواتي، رأيتني بشرا ورأيته بشرا"[1].

ب. المقالة الموضوعية:

قسم بعض الأدباء والنقاد المقالة إلى قسمين (ذاتية) و (موضوعية)، فأما الذاتية فكما سبق القول هي تلك التي ارتبطت بشخصية قائلها ارتباطا جعلها تصويرا لها.

وأمّا الموضوعية: فهي التي انصبت العناية فيها على الموضوع نفسه وانفصلت عن شخصية قائلها انفصالا كاملا، ولقد شملت المقالات الموضوعية جميع فروع العلوم الطبيعية والإنسانية، ومن نماذج المقالة الموضوعية، مقالة بعنوان "ضوء الشّمس" للدكتور أحمد زكي يقول فيها: "وضوء الشمس أبيض اللون، فهكذا أثره في العين ولكنك ترسل الشعاع منه إلى منشور ثلاثي من الزجاج، فيدخل الشعاع إلى الزجاج من سطح ليخرج من سطح آخر من أسطحه الثلاثة ولكنه لا يخرج أبيضا كما دخل، إنه يخرج وقد تفرق إلى شعاعات كثيرة، ومال بعضها عن بعض وتجنب بعضها بعضا ليظهر كل منها على حقيقته أحمر أو أخضر أو غير ذلك، ولو أنك جمعت هذه الشّعاعات الملونة مرة أخرى فخلطتها فخرجت شعاعا واحدا لكان شعاعا أبيض كالذي كان أول مرة فذلك هو الطيف، شعاع أبيض تفرّق إلى ما احتواه من شعاعات ذات ألوان"[2].

ت. المقالة الأدبية الاجتماعية:

هي المقالة التي تعالج أمراض المجتمع كالجهل والفقر كل ذلك بأسلوب ادبي وراقٍ خالٍ من الابتذال والمباشرة الفجة، والكاتب في المقالة الاجتماعية هو الكاتب الأديب وليس الكاتب

[1] – سامي يوسف أبو زيد، "الادب العربي الحديث"، النشر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط: 1، 2015م، 1436هـ، ص: 121.

[2] – المرجع نفسه، ص: 134-135.

الاجتماعي وحسب، ومن ثم فلابد أن يكون "ممتازًا في ثقافته وعلمه وعقله وفكره وكياسته ورأيه، يقف نفسه من الأمة أو الشعب موقف المصلح"[1].

وحين بزغت أنوار النهضة كانت البلاد كلها تئن تحت وطأة الاستعمار وهذا هو السبب في تأخر البعث الاجتماعي، فلقد أقر المستعمر الأوضاع الاجتماعية السيئة ولكن لم يوجه سياسته للحكومة نحو الإصلاح الاجتماعي وليس هذا فحسب فقد سعى المحتل أيضا إلى نشر الأمراض والآفات الاجتماعية في كثير من البلاد العربية مما سبّب انحلالا اجتماعيا عمّ جميع الطبقات الشعبية في مصر على السّواء.

وهنا ظهر عدد من المصلحين واخذوا يعكفون على دراسة أحوال المجتمع وجهر كثيرون منهم بدعوات إصلاحية تدعو إلى التمسك بالدين وبالمثل العليا.

ومن نماذج المقالة الاجتماعية مقالة للرافعي بعنوان "الصغيران" والذي يصور فيها حبّ الأمّ لأولادها، وقد سيطرت على الكاتب في النّصّ عاطفة الإشفاق والعطف ومن هذا النّصّ يقول.

"يا من لا إله إلاّ هو... من سواك لهاتين النملتين في جُنح هذا اللّيل الّذي يشبه نقطة من غضبك؟

لقد أخرجتهما في هذا الضياع مخرج أصغر موعظة للعين، تنبّه أكبر حقيقة في القلب، وعرضت منهما للإنسانية صورة لو وفق مخلوق عبقري فرسمها لجذب إليها كلّ أحزان النّفس"[2].

ث. المقالة الأدبية النقدية:

لقد اختلفت وجهات نظر النّقاد والدارسين حول مفهوم المقالة النقدية ففريق يراها تلك المقالة التي تقنن للمسائل الأدبية وتضع للقضايا الأدبية والنقدية ضوابط ومفاهيم وفريق آخر يراها المقالة "التي يسعى بها كاتبها إلى إبانة رؤاه في مسألة أدبية أو ما يقبله ذوقه أو يمُجه في نصّ إبداعي، كلّ ذلك بأسلوب فني متدفق لا يشوهه جفاف الحقائق العلمية"[3].

[1] – طلعت صبح السيد، المقالة في الأدب العربي، ص: 95

[2] – المرجع نفسه، ص: 111.

[3] – المرجع نفسه، ص: 113.

ومن نماذجها مقالة للأستاذ "مصطفى صادق الرافعي" تحت عنوان "نقد الشعر وفلسفته"، يقول فيها: "فأمّا الكلام في فنّ الشّعر فالمراد بالشعر -أي نظم الكلام- وهو في رأينا التأثير في النّفس لا غير والفنّ كله إنما هو هذا التأثير والاحتيال على رحمة النفس له، واهتزازها بألفاظ الشعر ووزنه وإدارة معانيه، وطريقة تأديتها إلى النفس"[1].

ج. المقالة الأدبية الوصفية

إن المقالة الأدبية الوصفية: من النثر الأدبي الجميل وتعني ذلك اللون المقالي الذي يعمد فيه الكاتب إلى تصوير ما يقع تحت حسّه في الحياة، والقيمة الحقيقية للمقالة الوصفية تقوم على دقة الملاحظة وعلى التعاطف العميق مع الطبيعة ثم على الوصف الرشيق المعبر.

ومن نماذجها مقالات "المازني" الوصفية التي ترينا الحياة المصرية بميزاتها وعيوبها وتقاليدها وعاداتها، فيقول في وصف خريف القمر: "متى جاء الخريف وبدأ المرء يشعر بأنه قد رأى خير ما كتب له في عمره وأن ما تبقى في رحلته في هذه الدنيا أشبه بأن يكون وجودا منه بأن يكون حياة استمرارا ومجرد اندفاع في الطريق الذي كانت تجري فيه الحياة الأولى، كما يجري النازل من التزام خطوات إلى جانبه"[2].

[1] - طلعت صبح السيد، المقالة في الأدب العربي، ص: 118.

[2] - المرجع نفسه، ص: 132.

المبحث الثّاني

مميزات أدب الإبراهيمي.

المبحث الثّاني: مميّزات أدب الإبراهيمي:

لقد طغى فن المقالة في أدب الإبراهيمي طغيانا بارزا على ما سواه من فنون النثر ويرجع هذا إلى ما كانت تمثله الصحافة في عهده من أهمية وما تؤديه من دور فقد كانت الوسيلة الوحيدة لنشر الإنتاج الأدبي وحفظه من الاندثار، وكان الإبراهيمي رائدا للصحافة الجزائرية في ذلك الحين ، أدّى بفضلها وعن طريق جريدة البصائر دورا كبيرا في تطوير الأدب العربي، فنتج له مما كتب في هذا الفن ذلك الأثر العظيم (عيون البصائر)، وهذه المقالات الكثيرة التي كان الإبراهيمي يزين بها جريدة البصائر خاصة لها قيمة تاريخية فقد أثبتت أن الصحافة لا تعني العزوف عن رصانة الأدب ونصاعته ،كما " اثبتت أن في اللغة الأدبية العالية طريقا سويا للإعراب عن المشكلات السياسية والاجتماعية ."[1]

وإذا نحن طالعنا مقالات الإبراهيمي بشيء من التفحص والتأمل، نلاحظ –على المستوى الفني– نوعين من المقالات فالنوع الأول هو نوع يأخذ بالأسس البنائية للمقالة، ويشكل هذا النوع ثلث المقالات ذات الطابع الإصلاحي السياسي والاجتماعي بصفة خاصة والنوع الثاني هو نوع يأخذ بالأسس الإبداعية للمقالة.

1- الالتزام :

فهذه الميزة تحدد للباحث وجهة اتجاه أدب الإبراهيمي بأسره، إذ أن المتتبع لكتاباته يجدها هادفة وراء غاية ذات قيم وأبعاد مختلفة.

والتزام الإبراهيمي في أدبه يتلخص في أنه أمانة كلمة ومسؤولية ضمير كما تقول الدكتورة بنت الشاطىء، فأدب الإبراهيمي هو أدب ثوري النزعة من حيث حيوية الانفعال، أو هو: "أدب الإرهاص الثوري الصادر عن عقيدة وإيمان"[2]. والإبراهيمي واعٍ كل الوعي بجسامة القضية في مضمار الالتزام وصريحٌ صراحة مباشرة كما يتحدث عن نفسه: "ألا إنّ فرسان الكلام والأقلام كفرسان النزال والعراك في كثير من الخصائص وكما أنّ الكمي المعلم يضيق بالفاقة ذرعه فتهون عليه بيضته وذرعه

[1] – عبد الملك بومنجل، "النثر الفني عند البشير الإبراهيمي"، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط: 1، 2009، الجزائر، ص: 36.

[2] – محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 336.

وهيهات أن يهون عليه سيفه ورمحه، فأما وظيفة السيف والرمح هي الإنكاء في الصدور والإنكاء في العدو و هو الغاية التي تنتهي إليها شجاعة الشجاع"[1].

على مثل هذا النهج يسير أدب الإبراهيمي في شعره و نثره، ويظل الإبراهيمي حذرًا متنبها من خطورة الخلط بين الالتزام والإلزام ويتخذ موقفا صارما اتجاه كل محاولة تثبيط أو مخادعة على حساب الكلمة الأمينة.

وإن مثل أدب الإبراهيمي لا يحتاج إلى تحليل ولا إلى مناقشة من أجل الكشف عن التزامة، لأنه أدب اجتماعي وأقل ما يقال عن الأدب الاجتماعي أنه أدب تتوفر فيه ضرورة احتكاك الاديب بمشكلات عصر قضاياه المختلفة.

فالإبراهيمي ملتزم أشد الالتزام بقضايا بني قومه، وهو مثلا حين يتناول القضية الفلسطينية إنما يتناولها معذبة وبانفعال حاد وبلهجة صارمة قانطة تبعث على الاستنفار ومن نماذجه الأدبية هذا النص الآتي: "أيها العرب لا عيد حتى تنفذوا في صهيون الوعيد وتنجزوا فلسطين المواعيد، ولا نحر حتى تقذفوا بصهيون في البحر. ولا أضحى حتى يضمأ صهيون في أرض فلسطين ويضحى، أيها العرب حرام ان تنعموا وإخوانكم بؤساء وحرام ان تطعموا وإخوانكم جياع"[2].

2- الواقعية:

إنّ واقعية الإبراهيمي في أدبه ليست تسجيلا للواقع وانحصارا وتبريرا له بل هي : "موقف فكري للأديب من ذلك الواقع وانطلاق به إلى وجود أفضل وأفق أرحب"[3].

والملاحظ أن هناك علاقة ترابط بيت التزام ادب الإبراهيمي وبين واقعيته، وهو أمر طبيعي لأنه لا يمكن لأديب ما أن يكون ملتزما خارج واقع يتحرك فيه.

ومن هنا يجوز القول: إنّ أدب الإبراهيمي هو أدب يعايش الصّراع والتناقض لزمن تاريخي معين واضح القسمات والخلفيات في موقف صريح.

---

[1] – محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 336-337.

[2] – المصدر نفسه، ص: 338.

[3] – المصدر نفسه، ص: 340.

ويقول الإبراهيمي في هذا الصّدد: "أمّا نحن فقد كنا علماء دين ودعاة علم وتربية، وزراع خير وبركة، ولكن الحكومة تعد هذا كله سياسة وتعتبره لأجله سياسيين، فليكن ذلك ولنكن علماء، ولنكن كل شيء ينفع امتنا ويحمي ديننا ولغتنا"[1].

فهو يحسّ في لحمه ودمه آلام شعبه وأمّته، ويتحمّل هذا الإحساس العميق، فلم يستطع أن يعيش أمام هذا الواقع بضميرين ضمير مع نفسه وضمير مع مجتمعه وإنما واجه هذا الواقع بضمير واحد هو ضمير المجتمع.

3- العمق:

تشكل اللغة في أدب الإبراهيمي الخلية الحيّة لمقاييس درجات العمق التي يرتفع إليها أدبه، وبهذا يصبح محتوى العمل الأدبي عنده عبارة عن أفكار قائمة بذاتها لأن اللغة المستعملة عنده عميقة في ذاتها وعميقة الدلالات والتفسيرات لا من حيث المتانة والقوة فقط، ولكن من حيث المقصود والمفهوم.

فالعمق عند وليد تجربة طويلة من تفهم الظروف والأحداث التي يكتب عنها ومن اتصاله بالمجتمع اتصالا مباشرا، والاطلاع على خصائص مجتمعه، فتريث على عمله هذا حصر المشكلات الأساسية بنظرة عميقة.

ولعل أوّل هذه المشكلات التي يحددها ادب الإبراهيمي بعمق هي مشكلة الاستعمار وجعل منها محورا رئيسيا تتحرك حوله الانحرافات الاجتماعية في جميع ميادينها ، وغير ذلك من المشكلات التي يوليها أهمية، فالعمق إذن: "قائم على الفكرة التي يطرحها الإبراهيمي كقضية جوهرية يرتكز عليها مستقبل أمته ووطنه وشعبه"[2].

4- القيمة الفنية:

[1] – محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 34.

[2] – المصدر نفسه، ص: 347

تكون الخصائص السابقة وحدة فنية في ادب الإبراهيمي وتحافظ على علاقة الالتحام بين الشّكل والمضمون في هذا الأدب، فمن حيث الشّكل فإن "طريقة الإبراهيمي خاصّة في انتقاء الألفاظ وتأليف الكلام وفي كيفية الطرح والمعالجة للموضوع، وفي عملية التقديم والتأخير والفصل والتوازن والتقسيم في الأسلوب"[1].

وأمّا من حيث المضمون "فإنه أدب ذو قيمة نفعية متبوعة بغاية هادفة كما يفسرها عمله الأدبي"[2].

فالأدب عنده فكرة وتجارب مع المجتمع ينقل المشكلات الاجتماعية بأمانة ويكفل لها الحلول، ويتفاعل معها بمشاركة نابضة بالفعل المعاش والعاكس لصور المجتمع بكل حياة في زخمها وقوتها وفي معترك الأحداث عاش أدب الإبراهيمي يأخذ من شدة المقاومة ألفاظها، افكارها ومناخها الروحي "ومن لهب المعركة انفعالها وصدقها ويعايش واقعيتها ويسجل تاريخها"[3].

[1] – محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 347.

[2] – المصدر نفسه، ص: 347.

[3] – المصدر نفسه، ص: 348.

المبحث الثّالث

خصائص فنّ المقال عند الإبراهيمي.

المبحث الثّالث: خصائص فنّ المقال عند الإبراهيمي:

1- الخصائص الفنّية:

أ. الأسلوب:

يعد الشير الإبراهيمي من الكتاب الذين يحتفلون بالقالب اللغوي ويصبون فيه خواطرهم وأفكارهم، فاللغة عنده ليست فقط وسيلة ولكنها هدف أيضا ومن ثم فإن أسلوبه يمتاز بهذه الصياغة الخاصة التي تراعي التوليد في المعاني والصيغ وتهتم بالاستعارة اهتماما شديدا و بالمجاز بصورة تجعل من أسلوبه ميزة كما ان المقابلة بين المعاني والجمل من خواصه التي تفرد بها بين كتاب النثر الجزائري ، ولقد عمد الكاتب إلى هذا الأسلوب للتعبير عن المفارقات ووجوهها المختلفة وهو باعتماده هذا الأسلوب إنما يجعل اللغة ألصق بالواقع وقضايا المجتمع: "حيث جسّد تناقضات المجتمع باللّغة والكلمة شأن الرّسام الذي يجسّدها بالألوان"[1].

وللكاتب مقالات مختلفة في الدين والإصلاح والاجتماع والسياسة وأسلوبه هو نفس الأسلوب ولغته هي دائما تلك اللغة التي تغني قاموسنا اللغوي[2]. لأنها مأخوذة من عصوره المختلفة كما يمتاز الإبراهيمي بالأصالة في الأسلوب والأصالة كما يحددها بعضهم: "ومَلاك الأصالة ألا تكتب كما يكتب الناس و ملاكها أن تكون أصيلا في نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك"[3].

كما انّ صفة الإنشاء تغلب عليه أكثر من صفة التحليل فهو منشئ لا محلل ، شأنه شأن الأدباء المنشئين كما ان الكاتب يميل في مقالات أخرى إلى الأسلوب الأدبي مثل مقالة بعنوان: (تحية غائب كالآيب)، ففيها يتشوق الكاتب إلى وطنه بعد غياب عنه وفراق له فيقول متخذّا من الأساليب القديمة بداية له: "حيّ الجزائر عني ياصبا ... واحمل إليها مني سلاما ما تبارى لطافته لطافتك وتتسارى اطافته اطافتك، فقديما حملك الكرام الأوفياء مثل هذه التحية إلى من يكرم عليهم فحملتها روحا وأديتها بوحا، وأعلنتها شدى وفرحا"[4].

---

[1] – عبد الله الركيبي، "تطور النثر الجزائري الحديث"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص: 175.

[2] – ينظر :حسين بوحسون، "أدبية الخطاب النثري عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي"، دراسة، دار الثقافة، بشار، ط 1، 2011، ص: 97.

[3] – عبد الله الركيبي، "تطور النثر الجزائري الحديث"، ص: 176.

[4] – محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 310.

كما أنّ الخاصية الأساسية في المقالات التي كتبها الإبراهيمي هي السجع فهو ممن عرفوا به وأصبح من ميزاته الواضحة سواء كان عفو الخاطر وهذا كثيرا في مقالاته التي أنشأها في مناسبات مختلفة.

ب. اللّهجة الخطابية:

هي خاصية بارزة في نثر الإبراهيمي ولهذا البروز ارتباط وثيق بالمضمون، كما أن الإبراهيمي يكتب لأداء رسالة الإبلاغ والنصح وموضوعاته يطغى عليها الاتجاهان السياسي والإصلاحي وكلا الاتجاهين خاصة إذا طغت فيها عاطفة الأديب يحتاج إلى أسلوب خطابي في التعبير ومن امثلة استعمال الإبراهيمي لأسلوب الخطاب مقالة له بعنوان (من نفحات الشرق) يقول فيها: "وافنا يا شرق مع كل نسمة منك تهب، ومع كل برد من قبلك يخب، بأثارة مما أنقت الأيام فيك من آثار السماء ... مازالت فيك يا شرق ملامح من الخير ومخايل من الفضيلة وما شابه من عبقرية العقول التي حلت مشكلات العالم ووسعت آفاق المعرفة"[1].

ومن أمثلة تعبيره عن الأسى قوله مصورا (فجيعة فلسطين) في أسلوب خطابي رقيق ومؤثر:

"يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي كل جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية"[2].

2- الخصائص العامّة:

أ. المنهجية الدقيقة والعرض المنطقي:

رغم ما تتسم به مقالات الإبراهيمي من سمو البيان ودفقات الشعور فإن الإبراهيمي لم يهمل الاهتمام بالجانب المنهجي للمقالة الأدبية بل أولاه الأهمية البالغة، فهو يتسم بالتقسيمات الأساسية للمقالة من مقدمة يمهد بها لفكرته الأساسية وعرض يحلل فيه تلك الفكرة وخاتمة يلخص فيها محتوى المقالة "فتجئ مقالاته منظمة مرتبة كحبات اللؤلؤ التي تنتظم في عقد واحد"[3]. إذ نجد لكل مقالة عنوانا يتناسب ومحتواها ، تعرض عرضا فنيا متسلسلا من المقدمة إلى العرض إلى الخاتمة.

[1] – عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص: 116.

[2] – المرجع نفسه، ص: 117

[3] – المرجع نفسه، ص: 37.

ب. الرسالية:

وتعني أن الإبراهيمي لم يكن يكتب مقالاته لغرض الكتابة والامتاع بل كان ملتزما بواقع مجتمعه مهتما بقضاياه جاعلا من أدبه عامة ومقالاته خاصة وسيلة فعالة للقيام بهذه الرسالة فكانت موضوعاته من واقع المجتمع الجزائري بصفة خاصة والمجتمع الإسلامي بصفة عامة، ويتخذ من الأحداث الجارية بالمشكلات القائمة "قضايا للعرض والدراسة والتحليل بأسلوب أدبي يوازن بين العقل والعاطفة"[1].

ت. السخرية الجادة واللهجة العنيفة عند المناقشة:

إن ظاهرة العنف والسخرية سمة بارزة في مقالات الإبراهيمي يستعملها وسيلة لتوضيح الحقائق والحط من أقدار خصومه لكسر شوكتهم ومحو آثارهم، وقد تبلغ هذه الظاهرة إلى حد التهكم الساخر والجارح والإقذاع المفحش واللاذع، يقول الدكتور عبد الملك مرتاض في هذا الصدد: "كان الإبراهيمي حين يناقش خصمه يرميه بألفاظ حداد كأنها شفرات ماضية أو شطايا محرقة، أتمثل أسلوبه عند الخصام وكأن حروفه و ألفاظه، لهب وجمله جمر، وعباراته الجارحة سياط من العذاب" [2].

وهذه الظاهرة تبرز في كل مقالاته التي يخاطب فيها خصومه من الطريقيين وغيرهم، فمن سخريته بالاستعمار قوله: "في الإدارة الجزائرية العليا مطبخة ليست كالمطابخ تطبخ فيها الآراء والأفكار في كل ما دق وجل من شتون المسلمين والقائمون على المطبخ طهاة يحسنون الفن ودهاة يحكمون بأوّل الظّن"[3].

ث. الجمع بين جمال الصياغة والتعبير عن الفكرة:

وهي ظاهرة متميزة في مقالات الإبراهيمي أصبح بفضلها رائد لهذا الفن في العصر الحديث إنه لا يكتفي بتلك المنهجية الرائعة التي يتناول بها مقالاته ولا بذلك العرض المنطقي القيم والممتع، بل

[1] – عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص: 37.

[2] – المرجع نفسه، ص: 43.

[3] – المرجع نفسه، ص: 44.

يزيد مقالاته جمالا على جمال بذلك التصوير الفني البديع، "يجمع بين التعبير عن معالجة قضاياه، بين الجمال والصياغة في الواقع"[1].

ج. ظاهرة الاقتباس والتضمين:

يتميز الإبراهيمي بمحفوظه الواسع من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأدب العربي قديمه وحديثه، وإذ نجده كثير الاقتباسات من القرآن الكريم سواء بطريقة الإتيان بالآية كاملة صريحة ووضعها بين قوسين مثل قوله: في مقال بعنوان (عيد الأضحى): "يا قوم ما أخلف العيد وما أخلفت من ربكم المواعيد ولكنكم أخلفتم وأسلفتم الشر فجزيتم بما أسلفتم"[2]، { وعَدَ اللّه الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً } الآية 55 من سورة النور، ونلاحظ في هذا المثال براعة الاقتباس وسلاسة الانتقال من كلامه إلى كلام الله عز وجل مع التطابق التام بين الفكرتين.

كما نجده أيضاً يأتي بالتضمين من الحديث الشريف ففي قوله: "إن الأمم الضعيفة قد لدغت من حجر واحدٍ مرتين فاحذروا الثالثة"[3] وهو تضمين لحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– :"لا يلدغ مؤمن من جحرٍ مرتين".

ونخلص في نهاية هذا الفصل إلى بعض النقاط المهمة، من بينها: لقد وجدت تعاريف عديدة ومتنوعة لمفهوم المقال، فالأدباء العرب يعرفونه بمفهوم، بينما الغربيون يعرفون بمفهوم آخر. إلا أن هذا لا يمنع من وجود نقاط مشتركة في تعريفهم للمقال.

كما عرف المقال أنواعا مختلفة منها: السياسي والاجتماعي والوصفي وغيرها من الأنواع الأخرى، وكل نوع يختلف عن النوع الآخر بمجموعة من الخصائص".

[1] – عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص: 43.

[2] – المرجع نفسه، ص: 43.

[3] – المرجع نفسه، ص: 44.

الفَصْل الثَّالث

مظاهر الالتزام عند البشير الإبراهيمي.

المبحث الأوّل

البشير الإبراهيمي واللّغة العربية.

المبحث الأوّل: البشير الإبراهيمي واللّغة العربية:

تمهيد: إن أعظم نعمة انعم الله بها على اللغة العربية في الجزائر عبر تاريخها النضالي العريق، وفي صراعها الحضاري العميق مع المستعمر نعمة تهيئة المناخ لإنقاذها والحفاظ على جذوة بقائها.

ولقد تمثل هذا المناخ في بزوغ فجر جمعية العلماء المسلمين، فلم يهيء الله للغة العرب في الجزائر قلما بارعا أقوى بيانا وأعظم بلاغة من قلم الإمام محمد البشير الإبراهيمي الذي دافع عن العربية بالكلمة الصريحة والعبارة الفصيحة، لما تضمنته من شعور كفيل يبث الوعي والاعتزاز بالشخصية وبما تحمله من حجة وبرهان.

لقد ربط الإمام الإبراهيمي اللغة العربية في الجزائر بالإسلام، الذي جاء هذه الرباع فاتحا للعقول والقلوب، فأقام ومعه العربية إقامة الأبد "يزيدها طيبا وعذوبة أن القرآن بها يتلى وأنا الصلوات بها تبدأ وتختم"[1].

1- البشير الإبراهيمي إمام العربية:

إن الحديث عن شيخنا الإمام واسع متشعب متعدد المجالات لغنى مواهبه وقوة شخصيته وطول جهاده كما أن الحديث عنه كغيره من الأفذاد مثل الأمير عبد القادر وابن باديس هو نفسه الحديث عن الجزائر العربية المسلمة حضارة وأصالة وصمودا أو نهضة لذلك كان الحديث عن أي جانب من شخصيتة القوية، يفضي بشكل تلقائي إلى الحديث عن جوانبها الأخرى المتعددة، التي يخدم بعضها بعضا في تكامل وانسجام لأنها جميعا في فلك واحد ذي شموس ثلاث: الجزائر – الإسلام – العربية.

ولعل من المفيد التأكيد في البداية على أمر مهمّ وهو أهلية إمامنا للاضطلاع بمهمة عظيمة ألا وهي جهاده من أجل إحياء اللغة العربية ونشرها وازدهارها.

فالشيخ البشير الإبراهيمي، قبل أن يكون مفكرا مصلحا وسياسيا "كان أديبا، شاعرا وخطيبا عالما فقيها في اللغة العربية خبيرا بأسرارها"[2].

---

[1] – عبد الرزاق قسوم، "اللغة العربية في عهد الاستعمار"، عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2007، ص: 7

[2] – عبد الرحمان شيبان، "الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط:2، 2007، ص: 72.

لقد كان الإمام الإبراهيمي رحمه الله "إماما في العربية وبلاغتها تفقه في أسرارها وتغذى بآدابها واستنار بقرآنها، وكان خطيبا مصقعا، يهز القلوب ببيان ساحر، يعيد للأذهان ما كان للخطابة العربية من سلطان في عهد قس بن ساعدة وسحبان"[1].

إن موضوع اللغة العربية لقي الاهتمام البالغ من طرف البشير الإبراهيمي، فقد سعى إلى "أن تكون هذه اللغة العربية أحد مشارب الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين، لأنها لغة الدين والقرآن"[2]، وهذا ما يؤكده الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله: "ان اللغة العربية هي لغة الأمة هي ترجمان أفكارها وخزان أسرارها والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية زيادة على ذلك القدر المشترك أنها حافظة لدينها وأنها صلة بينها وبين ربها"[3]

2- اللغة العربية لغة الميل العاطفي والوحدة:

يتحدث الإبراهيمي في الكثير من مقالاته عن اللغة العربية على أنها اختيار العاطفة بالنسبة له وللجزائر، فيرى في بعض الأحيان: "أنها لغة فطرية أو طبيعية لديهم حيث يقول: "عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعية ... وهي أثبت أساسا وأقدم عهدا وأصفى عنصرا من انجليزية الإنجليز وألمانية الألمان"[4].

ويبدو من خلال هذا القول أن الإبراهيمي يميل أيضا إلى فرضية الجنس والعرق في آرائه عن اللغة العربية، فهو يعتقد أنها لغة جنسه وقومه وعرقه وبالتالي جنس وعرق المغاربة، كما يتحدث في مواضع أخرى عن سحر العربية وجمالها وعذوبتها.

كما يرى الإبراهيمي أن اللغة العربية لغة قادرة على جمع كل الجزائريين والمغاربة جميعا، فتحقق لهم التوحيد الجغرافي بل وتربط هذا الفضاء الجغرافي بمنبت العروبة في المشرق العربي الذي يتوحد جغرافيا معهم[5].

---

[1] – عبد الرحمان شيبان، " الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، ط 2، 2007، ص: 72.

[2] – المصدر نفسه، ص: 73.

[3] – عبد الجليل رحموني، "قضية العروبة في اهتمامات جمعية العلماء المسلمين"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، السداسي الثاني، الجزء: 02، 2016، ص: 195.

[4] – فرحات بلولي، "قراءة من خلال آراء الإبراهيمي وشيبان"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، السداسي الثاني، 2016، ص: 382.

[5] – ينظر: فرحات بلولي، قراءة من خلال آراء الإبراهيمي وشيبان، ص: 383.

3- الإبراهيمي رائد التعريب في الجزائر:

إن مما يعلمه جيل الاستقلال من عظمة الإمام الجليل أنه كان صادق الوطنية ومفكرا مصلحا ومعلما مربيا كما يعتبر رائد التعريب في الجزائر باعتباره أول من وضع لهذه القضية أسسها النظرية وحدد أبعادها المختلفة.

ويمكن حصر هذا المجال الواسع الذي عمل فيه الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي في محورين كبيرين متكاملين هما:

أ. اللغة العربية: لغة العلم والحضارة.

ب. اللغة العربية: لغة الجزائر العربية المسلمة.

إن الذي يميز الإمام الجليل في مجال اللغة العربية بالذات هو: وعيه العميق بالأبعاد الحضارية لهذه المسألة، وتحليله العملي الدقيق لجوانبها المختلفة" بخاصة فهمه العميق لوظيفة اللغة في تطور الأمم والمجتمعات"[1].

- العربية لغة العلم والحضارة:

إنّ الباب الواسع الذي دخل منه الشيخ الابراهيمي على عالم العربية الفسيح هو القرآن الكريم ولقد أوجز هذا الترابط العضوي بينهما قائلا:

"القرآن لا يفسره إلا لسانين لسان العرب ولسان الزمان"[2].

فالقرآن الكريم منهاج رباني شامل كامل لسعادة الإنسان في كل عصر وفي كل مصر، فلابد "للأداة" المدعوة إلى حمل هذا المضمون الرباني الخالد أن تكون مؤهلة لاحتواءكل جديد.

من هذا المنطلق السليم، وبهذه القناعة العقلية والوجدانية معا، راح الإبراهيمي يستقرئ التاريخ العربي الإسلامي ويستوقفه في مراحل قوته وضعفه، فتأكد له "أن اللغة العربية شأنها شأن الإسلام كلاهما يقوى ويضعف بحسب طبيعة أهله المتأثرين والمؤثرين به"[3].

[1] – عبد الرحمان شيبان، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية، ص: 77.

[2] – المصدر نفسه، ص: 77.

[3] – المصدر نفسه، ص: 77.

لقد أولى الإبراهيمي لهذه القضية الخطيرة عناية كبيرة، فلم تمنعه فترة الاستعمار الحالكة من معالجتها معالجة علمية دقيقة، فبين ما تنطوي عليه اللغة العربية شانها شأن الإسلام كلاهما يقوى ويضعف بحسب طبيعة أهله المتأثرين والمؤثرين به"[1].

ثم فصل القول في أفضالها على العلم والمدنية، وبالرغم مما كان يدعيه الاستعمار والعلماء الخادمون لسياسة من أن العربية قاصرة عن ميادين العلم وعاجزة عن مسايرة التطور والتجديد.

يقول الإبراهيمي في مقال له بعنوان "العربية" فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الأمم غير العربية يبين فيه سر قوة الشخصية الحضارية التي كانت لأسلافنا الأوائل، الذين أدركوا ضرورة التفاعل مع الغير عن طريق اللغات الأجنبية[2]، يقول في ذلك: "قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم ونظمها الاجتماعية وآدابها فوعت الفلسفة بكل فروعها والرياضيات بكل أصنافها والطب والهندسة والآداب والاجتماع وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الحاضرة والغابرة"[3].

فالإبراهيمي من خلال هذا النّص يحرص على فكرة مهمة وهي أن اللغة العربية قادرة على أن تكون لغة العلوم الحديثة كما يصر على نقل هذه العلوم إلى اللغة العربية كما فعل أبناء الحضارة الإسلامية في الماضي[4]. يقول الإبراهيمي في موضع آخر: "عاشت اللغة العربية في بيئة الجزيرة العربية مجاورة لعديد من الأقوام والحضارات فكانت علاقاتها هادئة غير متوترة وذلك مرده أن تلك اللغات الأجنبية لم تكن في الهيمنة وفرض نفسها بالقوة وإنما جاء اتصالها بالعربية بطريقة عادية..."[5]

[1] – عبد الرحمان شيبان، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية، ص: 77.

[2] – المصدر نفسه، ص: 78.

[3] – نزهة خلفاوي، "استثمار جهود الإبراهيمي اللغوية في المنظومة التربوية بين الواقع والمأمول"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، السداسي الثاني، 2016، ص: 260.

[4] – ينظر: رابح لونيسي، "التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة"، بين الاتفاق والاختلاف (1920–1954)، دار كوكب العلوم الجزائر، ط1، 2009، ص: 393.

[5] –حاكم عمارية، "دفاع الإبراهيمي عن أصالة اللغة العربية في الجزائر "، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، السداسي الثاني، 2016، ص: 244.

إن القصد من إيراد هذا النص الذي يتحدث عن تاريخ علاقة اللغة العربية باللغات الأجنبية هو محاولة لتوضيح أمر مهم والمتمثل في ان اللغة العربية لم يكن لها أعداء قبل مجيء الإسلام ولم تكن هناك صراعات لغوية وهي عندما جاء الإسلام فقد اعتنقه الكثير من أبناء الحضارات المجاورة[1].

ونجد الإبراهيمي في نص آخر يقدم لنا الأسباب التي جعلت من اللغة العربية لغة مدنية وعمران، يقول في هذا الصدد: "أيها الإخوان: لو لم تكن العربية لغة متسعة الآفاق غنية بالمفردات والتراكيب، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند، ولألزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللغات ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية، ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الإسلامي برمته".

لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم، ما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون"[2].

وبهذا القد فنّد الإبراهيمي الأباطيل التي سيقت حول اللغة العربية بأسلوب العالم المتمكن فبين أن أسلافنا الأوائل عندما واجهوا حضارات الفرس والروم، نهلوا منها ما يفيدون دون عقد نقص بالرغم من بساطتهم ثم تجاوزوا ذلك إلى التفاعل الحي مع هذه الحضارات وما يزال الباحثون النزهاء يؤكدون "أن ما في حضارة الغرب اليوم هو من بقية عصارة ذلك الفكر المبدع الأصيل"[3].

والإبراهيمي في تحليله للوظيفة الحضارية للغة وفي دراسته للتفاعل الحي بينها وبين شخصية الأمة في تقدمها وتقهقرها يعد مرجعا لا يستغني عنه باحث في هذا المجال.

- **العربية لغة الجزائر المسلمة:**

إن الاستعمار الفرنسي في غزوه للجزائر، لم يستهدف الأرض وحدها بل تجاوز ذلك إلى محاولة القضاء على شخصية الشعب الجزائري فحارب اول ما حارب بعد أن تمت له السيطرة العسكرية اللّغة والدّين.

[1] – حاكم عمارية، "دفاع الإبراهيمي عن أصالة اللغة العربية في الجزائر، ص: 233.

[2] – عبد الرحمان حمادو، "مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، الجزء 3، السداسي الأول، 2016، ص: 114.

[3] – المرجع نفسه، ص: 127

أما بالنسبة للدين فقد حولت المساجد إلى كنائس ومستشفيات وإلى محلات وأما اللغة العربية، فإنه حاربها محاربة شديدة، ومعتمدا في ذلك أساليب كثيرة ومتنوعة، لعل أخطرها محاولة التشكيك في أصالتها بالجزائر بدعوى وجود لهجات مختلفة كثيرة تدل على أن لغة الضاد غريبة على هذه الديار.

وقد عالج الإبراهيمي هذه المسألة الخطيرة من الأساس وفند هذه المزاعم الخبيثة فكتب مقالا سنة 1948، بعنوان: "اللغة العربية في الجزائر عقلية حرة ليس لها ضرة"، يقول فيه:

"اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل"[1].

ثم يعلل سر تأصل العربية في هذه الديار وامتزاجها بالفكر والوجدان بل بالتراب قائلا: "لم يؤثر الفاتحون على الشمال الإفريقي ولا أثرت الأديان الراحلة إليه جزءا مما أثر الإسلام وأثرت العربية ذلك لأن الفاتحين، لهذا الوطن قبل الإسلام، إنما جاؤوا بدين القوة أما الإسلام فقد جاء بالعدل والإحسان وجاء وافيا بمطالب الروح ومطالب الجسم"[2]،

كما نجد الإبراهيمي في دفاعه عن قداسة اللغة العربية ورد السّهام المسمومة التي توجهها يد التخريب، فيقول: "من قال أن البربر دخلوا الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفوا، لأنهما شيئان متلازمان حقيقة وواقعا لا يمكن الفصل بينهما ومحاولا الفصل بينهما كمحاول الفصل بين الفرقدين" [3].

ويلاحظ الدارس أن الإبراهيمي يميل في مناقشته لمسألة اللغة إلى طريقة الإقناع، فبنى حديثه على أسلوب التقابل فيعلل ويشرح كيفية حل المعادلات بعد أن يقدم الافتراضات وقد يستطيع الدارس أن يستخلص بعض المعادلات التي وردت في النص السابق ويطرحها على الشكل الآتي: "دخول البربر في الإسلام طوعا (أ) يضمن قبول العربية منهم عفوا (ب)".

[1] – عبد الرحمان حمادو، "مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص: 173.

[2] – المصدر نفسه، ص: 78.

[3] – محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 127,

ثانيا: إبقاء العربية قائمة الذات (ج) يعطي حسن جوار العربية وعدالة الإسلام وإحسانه (د)"[1].

وتعطي هذه المعادلات بلغة الرموز: "أن طرف أ = طرف ب، وطرف ج = طرف د"[2].

وبهذا نلاحظ أن الإبراهيمي يستند إلى منطق سليم ليبرهن على أن العلاقة وطيدة بين الإسلام والعربية دائمة الاتصال في جميع الحالات لأنه يرى حسب منهجه أن "لتلك الروحانية في الإسلام، ولذلك الجمال في اللغة العربية أصبح الإسلام في عهد قريب صبغة الوطن التي لا تنفصل ولا تحول وأصبحت العربية عقيلة حرة ليس لها بهذا الوطن ضرة"[3]

4- العربية في مجمع الخالدين:

إن اللغة العربية وثقافتها وحضارتها هاجس حب ملك على الشيخ شغاف قلبه وجوارحه، لذلك وجدناه ينحت من نفس الكنز اللغوي الثمين الذي وهبه الله ليخاطب أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث حظي بشرف إلقاء كلمة باسم الأعضاء الجدد في محفل ضم أساطين الفكر واللغة يقول: "أيها الإخوة إن هذه اللغة الشريفة التي طرقنا خيالها المؤوب ثم أسمعنا داعيها المثوب فاجتمعنا على بساطها اليوم من جميع أقطار العروبة، هي الرحم الواصل بيننا وهي اللحمة الحامية لخصائصنا وآدابنا فمن بعض حقها علينا أن نحف لنجدتها كلما مسها ضر أو حزبها أمر"[4]

ثم يواصل الإبراهيمي قائلا: "لقد كانت العربية قبل اليوم وإن رباعها لمجفوة وإن قصاعها لغير ملتمه ولا مرفوة، لقد كانت تلقى الأذى من الغريب المتنمر ومن القريب المتنكر، فيخف لنصرتها أفذاذ من أبنائها الأوفياء وجنودها، ولكن لا يسمع لهم صوت لتفرقهم في أقطار العروبة المتباعدة حتى ظهر هذا المجتمع"[5].

ثم يغوص الشيخ منقبا عن عوامل الداء الدفين لمحاولات وأد العربية في عقر دارها، فيقدم الدواء بعد تشخيص الداء قائلا: "إن مواطن العروبة متفرقة متباعدة، وأن الرباط الطبيعي، منها هو هذه

[1] – محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 128.

[2] – محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 128.

[3] – المصدر نفسه، ص: 129,

[4] – عبد الرزاق قسوم، اللغة العربية في عهد الاستعمار ، ص: 12، 13.

[5] – محمد دراجي. "المشرق العربي"، عالم الأفكار، الجزائر، ط:1، 2009، ص: 118.

اللغة، وقد ألم بها من أحداث الدهر ما أضعف تلك الرابطة حتى رثت حبائلها وغالبتها العالمية في كثير من أحكامها وكثير من مفرداتها، ولكنها لم تبتل بداء مثل هذا الداء العقام، الذي يسمى الاستعمار ولو أنصفنا لسميناه الطاعون، فهو الذي ألح علينا من قصد وتعمد حتى كاد يزهق روحها لإيمانه بمبلغ تأثيرها في تثمين الروابط بيننا"[1].

إذا كان هذا هو الداء عدو متنمر وقريب متنكر وقد التقيا جميعا هذا بعمله، وذاك بعمالته على فك الرباط، وإلهاب العقل بالسياط... فإن الدّواء الذي يصوغه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يكمن في هذا البلسم: "إن اللغة العربية كالدين يحملها من كل خلف عدوله، لينفوا عنها تحريف الغالين وزيغ المبطلين وانتحال المسؤولين... وأنتم أولئك العدول، فانفوا بجد وإخلاص عن هذه اللغة زيغ المبطلين من أبناء هذا الجيل الذين أصبحوا يتنكرون لهذه اللغة"[2].

5- الإبراهيمي وغيرته على اللغة العربية:

جاء على لسان الدكتور "مصطفى شميعة" بأن الغيرة على اللغة العربية هي قبل كل شيء تعبير عن الارتباط بين الفرد وجماعته هي إخلاص للتربية التي ولد عليها الإنسان، فالإنسان يحيا باللغة ويعيش تغيراتها وتطورها بحكم أنها كائن ينمو مع النمو التدريجي للواقع، لهذا توجد اللغة مع الفرد كينونيا تتقوى بقوته وصدق غيرته على وجودها في حياته من أجل هذه الغيرة الصادقة على اللغة العربية سعى كثير من محبيها إلى الدفاع عنها إن شعرا أو نثرا ومن هؤلاء المدافعين : البشير الإبراهيمي الذي ساهم بإخلاص في تثبيت اللغة العربية عند كثير من المواطنين الجزائريين.

أ. جمع المخنث السالم:

هذا التعبير الفريد الذي يدل على السخرية المريرة، أطلقه الإمام الراحل الشيخ البشير الإبراهيمي على هؤلاء الذين يدَّعون التجديد في الشعر، فلا يتقيدون بأصول اللغة العربية فيما يكتبون ولا يكترثون بالقوافي أو بأوزان الشعر الأصيل الذي اتفق عليها العرب. وحين زار الإبراهيمي القاهرة وقرأ بعض ما نشرته مجلاتها من أشعار يطلقون عليها اسم "الشعر المنثور" جزع الإمام أشد الجزع فكان ما قاله في هذا الصدد: "إن العرب قد أعطوا للنساء جمعا ينتهي بألف وتاء، فقالوا "مجددات": وسموه

[1] – عبد الرزاق قسوم، اللغة العربية في عهد الاستعمار ، ص: 13.

[2] – المجلس الأعلى للغة العربية، مقتطفات من آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي منور الأذهان وفارس البيان، الجزائر، 2009، ص: 40.

الجمع المؤنث السالم، وأعطوا للرجال جمعا ينتهي بواو ونون فقالوا مجددون وأسموه جمع المذكر السالم، ولكن هؤلاء الذين سمعتهم الليلة لا هم بالنساء فيؤنثون ولا هم بالرجال فيذكرون إنهم بين ذلك"[1].

وما قاله الشيخ البشير يكشف عن غيرة شديدة على اللغة العربية ويظهر لنا في الوقت نفسه قدرته على السخرية المريرة إن أراد ذلك.

ومما قاله الإبراهيمي في هذا الصدد أيضا: "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ولهذه اللغة على الأمة حقان أكيدان كل منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا؟ حق من حيث أنها لغة دين أمة بحكم أن الأمة مسلمة، وحق لأنها لغة جنسها بحكم أن العربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظ على جنس ودين معا"[2].

وعلى هذا فهو يرى بأن تعلم اللغة العربية واجب على الأمة الجزائرية إذ بها تحفظ الشخصية الجزائرية من الذوبان في الأمة الفرنسية من جهة ومن جهة أخرى محافظة على دين الأمة الإسلامي[3].

وبهذا لقد أولى الإبراهيمي للغة العربية عناية خاصة ذلك لأنه يؤمن إيمانا راسخا أنها وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه، وقد عرف بشدة حبه لها وتعلقه بها لاسيما أنه كان يرى فيها أساس الهوية وعنصر الانتماء للأمة الجزائرية ويوقن أن اندثارها يعني موت الأمة، يقول:

"إن هذه الأمة تعتقد وتموت على اعتقادها أن لغتها جزء من كيانها السياسي والديني وشرط في بقائها"[4].

ولما كانت اللغة العربية من أبرز مقومات الشخصية الوطنية فإن المجتمع الجزائري بقي محافظا على عروبته ولغته داعيا إلى اعتبارها لغة رسمية في المدارس والإدارة، يقول البشير الإبراهيمي:

---

[1] – عادل نويهض، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، ص: 46.

[2] – عبد القادر معبد، "الخطاب الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي وأثره في الهوية اللغوية"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، السداسي الثاني 2016، ص: 337، 338.

[3] – ينظر: عبد الرؤوف محمدي: "أثر تعليم اللغة العربية في بناء الشخصية الجزائرية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، السداسي الثاني، 2016، ص: 354"

[4] – نسيمة سعيدي وحياة عمارة، "مفهوم التحديد عند البشير الإبراهيمي"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، السداسي الثاني، 2016، ص: 292.

"إن لغة العرب قطعة من وجود العرب وميزة من ميزاتهم ومرآة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة"[1].

والإبراهيمي عندما يكتب عن هذه اللغة العربية يكتب عنها بدم قلبه لا بالحبر العادي، ولذلك بدل في سبيل تعليمها ونشرها الشطر الأكبر من حياته، "وكان قلمه عندما يكون في موقف الدفاع عن العربية والإسلام أقوى وأعنف وأشد ما يكون"[2].

ولقد أرسى الشيخ البشير الإبراهيمي إذن استراتيجية التعليم المستقبلي للعربية، وقد استوحى ذلك من واقع الجزائر البئيس الخاضع للاستعمار يومئذ، فإن استراتيجيته ما تزال إلى اليوم صالحة للتطبيق، بل إن الجزائر أحوج ما تكون اليوم إليها يقول في ذلك الصدد: "فالأمة تريد من التعليم العربي الحكومي الذي يحقق للعربية صيغة الرسمية أن يكون تعليما كاملا في جميع مراحله"[3]

[1] – عز الدين صحراوي، "اللغة العربية في الجزائر: التاريخ والهوية" مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.، العدد الخامس، جوان 2009،

[2] – لويزة حوفاف، "نداء القومية وإشكالية العروبة في آثار محمد البشير الإبراهيمي"، مجلة المخبر، العدد الثاني عشر، 2016، الجزائر.

[3] – عبد الرزاق قسوم، اللغة العربية في عهد الاستعمار ، ص: 10.

المبحث الثّاني

التّعليم العربي و الإصلاح الأخلاقي عند الإبراهيمي.

المبحث الثاني: التّعليم العربي والإصلاح الأخلاقي عند الإبراهيمي:

كانت الجزائر تعيش على عتبة العصر الحديث كغيرها من بلاد العالم الإسلامي، ظاهرة التخلف الحضاري الموروث عن عصر الضعف وفي هذا الوقت كان الغرب الأوربي قد دخل عصر النهضة الحديث، وأخذ بأسباب القوة والتمكن وإذا كانت نكبة الاحتلال في الجزائر قد أدت إلى استجابة عامة تبلورت بسرعة في صورة مقاومة، وما يكاد القرن الحالي يستهل حتى شرع الشعب الجزائري يستعيد بعض نشاطه الفكري بظهور كوكبة من العلماء كان من بينهم الشيخ البشير الإبراهيمي –رحمه الله–، وقد أمضى الشيخ حياته كسائر إخوانه في الحركة الإصلاحية حاملا راية الجهاد والتضحية من أجل النهوض بالأمة والسير بها نحو غايتها البعيدة.

ولقد "برزت نشاطاته في أكثر من ميدان للتربية والتعليم والفكر والثقافة في الاجتماع والسياسة، وبأشكال متعددة"[1].

1. التعليم:

أ. إنشاء المدارس:

لقد كان شعار جمعية العلماء المسلمين كما سبق الذكر ذو ثلاث شعب أحدهما العربية لغتنا، ولقد عاهد الإبراهيمي –رحمه الله– الشعب أن يعيد للعربية بالجزائر سيرتها الأولى وقد رأى الشعب الجزائري ذلك بعين اليقين وراح يضغط على الجمعية لفتح مدارس جديدة في كل ربوع الوطن "مما شجع جمعية العلماء المسلمين على تأسيس سبعين مدرسة في سنة واحدة"[2].

ولقد مضت الحركة الإصلاحية بقيادة الإبراهيمي حثيثة في تأسيس المدارس العربية، "كان أكبرها مدرسة دار الحديث بتلمسان"[3].

وذلك بعد أن أسندت جمعية العلماء المسلمين مهمة تنشيط الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري إلى الشيخ الإبراهيمي، فكان من أشرف على وضع تصميم لها، وتعتبر هذه المدرسة من

[1] – موسى صاري، "البشير الإبراهيمي"، 1889-1965، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 1984، ص: 06.

[2] – المرجع نفسه، ص: 10.

[3] – عبد الملك مرتاض، "محمد البشير الإبراهيمي"، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص: 24.

النمط الفريد التي أنشأت في تلك الفترة، وقد اختار لها مؤسسها اسم "دار الحديث" "تعبيرا عن مبادئ الحركة التي تدعو إليها وهي الرجوع إلى الدين النقي ومبادئه السمحاء"[1].

ولقد اعتبرت هذه المدرسة من بين ثلاث أهم قلاع التربية والتعليم في الجزائر يومئذ "لما كان لها أثر بالغ في تربية النشئ وإحياء اللغة العربية"[2].

ومن بين المرافق التي أنشأت أيضا في عهد الإبراهيمي: "معهد الإمام عبد الحميد بن باديس" وذلك سنة 1947، فلقد حددت مدة الدراسة فيه بأربع سنوات تنتهي بشهادة تعادل شهادة جامع الزيتونة، كما تم فيه إنشاء "دار الطلبة، والتي كانت متخصصة في إيواء المتمدرسين، وكان ذلك في عام 1948"[3].

وبهذا انتشرت المعاهد والمدارس بفضل اجتهاد الإبراهيمي ورفقاؤه من العلماء فرأت جمعية العلماء أن تبعث بتلامذتها خارج البلاد لمتابعة دراستهم في مختلف البلدان الشقيقة، وأصبح من الضروري السعي لدى الحكومات لقبول بعثات من الطلاب الجزائريين، لذلك فقد انتدبت جمعية العلماء الشيخ الإبراهيمي للقيام بهذه المهمة[4].

وقد وافقت العديد من البلدان على قبول بعثات من خريجي معاهد جمعية العلماء للدراسة معاهدها على نفقتها، كما كوّن: "الشيخ البشير الإبراهيمي مكتبا في القاهرة للإشراف على تلك البعثات"[5].

وكل ما بذله الإبراهيمي من مجهودات في بناء المدارس والمعاهد والمرافق دليل على حبه لنشر العلم، فكانت المدرسة تمثل بالنسبة إليه وسيلة لتحقيق النجاح والتفوق في الحياة، كما كانت بالنسبة إليه تمثل الأمل والسعادة يقول في ذلك: "المدرسة طريق الحياة وطريق النجاة وطريق السعادة وإن

[1] – سليمة كبير، الشيخ محمد الإبراهيمي، ص: 22.

[2] – موسى صاري، الشيخ البشير الإبراهيمي (1889-1965)، ص: 07.

[3] – المرجع نفسه، ص: 09.

[4] – ينظر: سليمة كبير: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (أمير البيان وحامي الشخصية)، ص: 28.

[5] – المرجع نفسه، ص: 29.

الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا ووديعة العرب في ذممنا فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع ولسانه من الانحراف ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمدرسة"[1].

ويقول أيضا: "إن المدرسة هي جنّة الدنيا والسجن نارها والأمة التي لا تبني المدارس تبني لها السجون"[2].

فإذا كان الإبراهيمي من خلال النصين السابقين قد عرّف لنا المدرسة أو بالأحرى ماذا تمثّل المدرسة، فإنه من جهة أخرى ينطلق في رسم صورة المدرسة التي تتطلع إليها الأمة وذلك من خلال تحليل واقع التعليم الفرنسي الذي كان سائدا في البيئة الجزائرية، يقول عن هذا التعليم: "والتعليم الأجنبي على تفاهته في الكيف في وقلته في الكم... يسبقه جهل وتقترن به آفات وتعقبه مفاسد وهو على ذلك كله، يفتح عينا ليعمي عينا ومن بلغ إلى غايته من أصبح بالطبيعة متنكرا لماضيه ودمه وقومه لأن ذلك التعليم وجده فارغا فملأه بما يشاء هو، لا بما نشاء نحن"[3].

لذا يضع الإبراهيمي تصورا للتعليم الذي تريده الأمة والمدرسة التي يتطلع إليها، وينطلق في هذا التصور من شرحه لنوع التعليم المراد تأسيسه، فيقول: "الأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه لا تعليما يحمل جراثيم الفناء وتحمله نذر الموت"[4].

فهو هنا يصور لنا خصائص النظام التعليمي للوطن الذي يجب أن تسعى إليه الأمة ويرتكز في تحديد معالمه على خاصيتين الأولى: "أن يكون تعليما عربيا في لغته وأهدافه ومضامينه، بحيث ينسجم مع مقومات الأمة وموروثها الحضاري.

والثانية أن يكون وطنيا ليس مستوردا ولا تسهم في صنعه أفكار أجنبية، فلابد أن يكون نابعا من عبقرية الأمة بحيث تصنعه بنفسها ووفق إرادتها"[5].

---

[1] – مخلوفي جمال، "التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة 1930-1956، مذكرة لنيل شهاد الماجيستير في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ علم الآثار، 2008-2009، ص: 44.

[2] – المرجع نفسه، ص: 44.

[3] – عزاز حسنية، "مدونة آثار محمد البشير الإبراهيمي: دراسة وصفية تحليلية نماذج لحقل التربية"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر السداسي الثاني، 2016، ص: 229.

[4] – المرجع نفسه، ص: 229.

[5] – المرجع نفسه، ص: 229.

والإبراهيمي من خلال هذا النص يريد أن يبين للحكومة التي ستتولى تنظيم التعليم في عهد الجزائر المستلقة أن مسؤوليتها هي: "تشكيل نظام تعليمي وطني يستجيب لحاجات الأمة ويتلاءم مع خصوصياتها"[1].

ب. التربية والتعليم:

لقد كانت للشيخ الإبراهيمي نظرته الخاصة إلى التربية، وهي نظرة لها مراجع فكرية معينة ولعل مرجعه الأول والأساس "هو الدين الإسلامي ، فقد استقى أفكاره ومنهجه التربوي من نظام التربية في الإسلام"[2]، والتربية من منظور الإبراهيمي لا تخرج عن هذه المعاني، فهو ينظر إلى الجهود التي يبدلها العلماء والمعلمون في رعاية أفراد المجتمع الهدف منها هو: إعدادهم للحياة الحاضرة والمستقبلية، وذلك من خلال الدعوة إلى بناء عقولهم على صحة الإدراك ودقة الملاحظة وتبرز هذه النظرة في العديد من مقالاته حول التربية منها مقال له بعنوان: حقوق الجيل الناشئ، يقول فيه: "للجيل الآتي علينا حقوقا أولية مؤكدة، لا تبرأ منها ذمتنا عند الله ... إلا إذا أديناها كاملة غير مبخوسة ... وملاك هذه الحقوق أن نعدهم للحياة على غير الطريقة التي أعدنا بها آباؤنا للحياة"[3].

وقوله أيضا: "أنتم حراس هذا الجيل، -الخطاب موجه للمعلمين- والمؤتمنون عليه والقوامون على بنائه فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية... ربوهم على استخدام المواهب الفطرية و على صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة"[4].

فهو في هذه الأقوال يحدد بخلاصة ما ينبغي أن تسعى إليه جهود الكبار والمسؤولين عن رعاية الصغار في مجال تنشئة الأجيال، ويحدد في الوقت نفسه الأسلوب الذي يجب أن يعتمد في عملية الإعداد، بحيث يكون أسلوبا ملائما لمجريات العصر. كما نجده يعدد المجالات التي ينبغي التركيز عليها

[1] – عزاز حسنية، "مدونة آثار محمد البشير الإبراهيمي: دراسة وصفية تحليلية نماذج لحقل التربية"، ص: 229.

[2] – المرجع نفسه، ص: 219.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط: 1، الجزء الثالث، ص: 273.

[4] – المصدر نفسه، ص: 271.

مع المعلمين و المتمثلة في الأخلاق والآداب والأفكار، وهذه الجوانب يسميها الأمتعة[1]، كما يقول: "الأمتعة التي يرثها جيل عن جيل ومنها يتكون مزاجه وتتحدد شخصية وأفكاره"[2].

والسبيل الذي يؤدي في رأيه إلى توريث هذه القيم والاتجاهات التي يرغب المجتمع في نقلها إلى أجياله هي المدرسة، والمدرسة التي يعينها هنا هي: المدرسة العربية، أي المدرسة التي تؤسسها جمعية العلماء، تلك المدرسة التي تعبّر عن ذاتية الأمة وتجسد مقوماتها.

أما بالنسبة لنظرته إلى التعليم فتحدد ما ينبغي أن يتجه إليه الجهد المدرسي فالاهتمام بنوع الأثر الذي تحدثه المعلومات المقدمة للتلاميذ أهم وأولى من كثرة المعلومات التي تحشى بهم أذهانهم ونجد هذا الطرح واضحا لدى الإبراهيمي في تحديده الخطة التعليمية التي اتفق عليها مع ابن باديس، يقول في هذا السياق: "كانت الطريقة التي اتفقنا أنا وابن باديس في المدينة المنورة في تربية النشىء هي أن لا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل"[3].

وهو هنا لا يقلل من أهميته المادة العلمية وإنما ينظر إليها بأنها وسيلة تبين شخصية المتعلم فالمعرفة لا ترقى على الغاية التي تنشدها من وراء التعليم إذا انحصر اهتمامنا في النظر إليها على أنها غاية في حد ذاتها لذلك فإن توجه اهتمام المعلمين إلى التركيز على الجانب الكيفي في تقديم المعرفة وتحقيق الغاية من المعرفة متوقف على طريقة التناول وانتقاء نوع المعرفة لذا يجعل الإبراهيمي الغاية من الدرس: "إنماء الفكر ... والتدريب على الاستنباط وبناء الأمور"[4].

ولقد وجه الإبراهيمي اهتمامه للمعلمين، وحدد لهم الأساليب التي تجعلهم مستوعبين لمهنتهم، قادرين على أدائها عالمين بواجبها في مجال التعامل مع الأطفال، يقول في ذلك: "إن كثيرا منكم –المعلمين– في حاجة إلى الاستزادة في التحصيل... فاعرفوا كيف تدخلون من باب التعليم إلى العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم وتوسعوا في المطالعة يتسع العلم"[5].

---

[1] – ينظر: عبد القادر فضيل، "التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي" دراسة تحليلية للمنهج التربوي الذي خطه لجمعية العلماء المسلمين من خلال مسائل التعليم، 27 شعبان 1438هـ / 23 ماي 2017، متاح على الموقع: www.binbadis.net.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد الإمام البشير، ج: 3، ص: 273.

[3] – شهيرة بوخنوف، "البعد التعليمي في كتاب عيون البصائر للعلامة محمد البشير الإبراهيمي، متاح على الموقع: www.ummto.dz

[4] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج.3، ص: 273.

[5] – المصدر نفسه، ص: 268.

ولم يغب عن ذهن العلامة البشير أثناء حديثه عن المعلم والمتعلم عن المادة العلمية التي تحتويها الكتب العلمية ومختلف المصنفات، فاهتم بمحتواها الوارد في متونها، فسعى إلى توضيحها للمعلمين والمسؤولين، فذكر المحتوى التعليمي الذي يجب أن يتلقاه المعلمين فيقول: "اللغة العربية أساس التربية والتعليم"[1].

وقد حاول الإبراهيمي تصحيح الخطأ السائد بين المتعلمين –طلاب العلم– الذي كان سائدا في تلك الفترة والذي لا يزال إلى اليوم والمتمثل في تخيل هؤلاء أن الحياة العلمية راحة ورفاهية قائلا لهم: "فادفعوا عنكم الخيالات ووطنوا النفوس على أنكم تلقون من البلاء والمجهدة في الحياة العلمية أضعاف ما تلقون منهما في الحياة العملية"[2].

ففي هذا القول يحاول الإبراهيمي، ترويض أفكار الطلبة وتوجيهها نحو الصواب لتهون عليهم الشدائد والمصائب، وقد أوصاهم الإبراهيمي بطلب العلم لوجه الله تعالى لا من أجل نيل الشهادات والوظائف العليا في المجتمع كما يسعى أغلبهم اليوم.

كما يحفزهم على طلب العلم لأنه بواسطته يبني الوطن وينشأ الوطني المدافع عن دينه ولغته وأرضه يقول: "أيتها الأمة قلنا لك إن العلم هو عمارة الوطن وأساس الوطنية ومنشأ الوطنيين"[3]. ومن أجل ذلك فإن الإبراهيمي يعتبر العلم: "روح الأمة وإن البحث في الأنواع التي تصلح لنهضتها فهو معدود من لغو الحديث واحتياج الحي إلى العلم في هذا الزمن أصبح قرين احتياجه إلى الطعام"[4].

ولم يكتف الإبراهيمي بالحديث عن المعلم وواجباته نحو المتعلمين بل اهتم أيضا بالجانب المادي للمعلمين، يقول في هذا الصدد: "يجب توفير أرزاق المعلمين حتى لا تطمع نفوسهم إلى هجر التعليم... أما والله لو استطعت لأعطيت المعلم جما ثم لأوسعت العطاء دما حتى تقوى فيه نزعة الكرامة وشرف العلم"[5].

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط: 2007، ص: 276.

[2] – المصدر نفسه، ص: 219.

[3] – عبد الرؤوف محمدي، "أثر تعليم اللغة العربية في بناء الشخصية"، ص: 357.

[4] – المصدر نفسه، ص: 356.

[5] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 309.

فهو يرى أن إشباع المعلمين بالجانب المادي يؤدي إلى تقوية الكرامة وشرف العلم لأن فقرهم سينعكس سلبا في التعليم يقول: "فإذا حصل ذلك جاء التعليم وفيه أثر الجوع والهزال وعليه سيما الفقر والخصاصة"[1].

والإبراهيمي يعني بذلك أن تحسين الجانب المادي للمعلمين له دور كبير في نجاح العملية التعليمية والتربوية.

وبهذا لقد وضع الإبراهيمي خطة فكرية واضحة المعالم لمعالجة القضية التربوية وجعلها سبيله في تناول قضايا التربية وتحديد مفاهيمها.

وتبعا لذلك فإن "الإبراهيمي" لم يفصل بين التعليم والتربية، فالأول بالنسبة إليه وسيلة والثاني غاية ولتحقيق الهدف المنشود لجمعية العلماء لابد من الجمع بين الوسيلة والغاية.

ولقد جعل الإبراهيمي التربية قبل التعليم، وذلك في قوله: "احرصوا كلّ الحرص أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم وهي أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت خيبته في الحياة من نقص في العلم وإنما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق"[2].

كما نجده قد جعل لكل من التربية والتعليم غاية فالغاية من التربية في نظره وهي "توحيد النشئ الجديد في أفكاره ومشاربه وتصحيح نظرته إلى الحياة"[3].

وأما الهدف من التعليم فهو: "تفقيهه في دينه ولغته وتعريفه بنفسه و معرفة تاريخه، تلك الأصول التي جهلها آباؤه فشقوا بجهلها وأصبحوا غرباء في العالم"[4].

ت.وصايا في الميدان التعليمي:

كان الإمام البشير لا يكتفي بالحث عن إنشاء المدارس ودور العلم بل كان يحرص كل الحرص على أن تنجح هذه المدارس في أداء رسالتها، لذلك كان يعقد الاجتماعات والندوات بين آونة وأخرى تارة للمعلمين وتارة أخرى لتلاميذ هذه المدارس، ومن أقواله الموجهة إلى المعلمين.

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 309.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3،: ص: 264.

[3] – المصدر نفسه ص: 275.

[4] – المصدر نفسه ص: 275.

"ها أنتم قد تبوأتم في مدارسكم ميادين جهاد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وأوقفوا أنفسكم لإحدى خطتين الدفاع المجيد أو موت الشهيد واعلموا أنكم عاملون فمسؤولون عن أعمالكم فمجزيون عنها من الله سبحانه تعالى ومن الأمة ومن التاريخ"[1].

فالإبراهيمي في هذا النص يرى أن مهنة المعلم هي مهنة جهاد ومادامت كذلك فعلى المعلمين أن يكونوا أبطال في الميدان التعليمي، وذلك حتى يتمكنون من تحمل عناء هذا الجهاد، كما يذكرهم بانهم مسؤولون عن أعمالهم، فعليهم مراقبة الله تعالى.

ومن أقواله أيضا: "إن شباب الأمة هو الدم الجديد في حياتها فمن الواجب أن يصان هذا الدم عن أخلاط الفساد، ومن الواجب أن يتمثل فيهم الطهر والفضيلة والخير ومن الواجب أن تربى ألسنتهم على الصدق وقول الحق"[2].

ففي هذا النص يبرز بوضوح الواجبات الأساسية للمعلمين اتجاه تلامذتهم وهنا يظهر ان مسؤولية المعلم كبيرة جدا، وذلك لأن تحقيق مثل هذه الأمور التي ذكرها في وقتنا الحالي، لا أقول مستحيل بل شبه مستحيل وذلك لأن جيل اليوم غير جيل الماضي.

وفي قوله أيضا مخاطبا المعلمين: "أنتم حراس هذا الجيل الجديد والمؤتمنون والقوامون على بنائه"[3]، فهذه الصفات التي يصف بها الكاتب المعلمين تشريف لهم ودلالة على رفعة مكانتهم و ذلك لأن التلاميذ أمانة في يد المعلمين ومادام كذلك فما على المعلم إلا أن يحفظ هذه الأمانة.

وفي مقام الواعظ المرشد، يربط الإبراهيمي على قلوب أبنائه المعلمين الذين تجندوا في صفوف التعليم الحر ويشجعهم لأداء واجبهم اتجاه الأمة فمشجعهم على تحمل هذه المسؤولية التي على عاتقهم، يقول "وإن أدري أقريب أم بعيد ما أوعد الله الظالمين، ولكنني أدري أن العاقبة للمتقين"[4].

ويظهر في العبارة اقتباسين الأول يمثل قوله تعالى حين وعد الكفار "فإن تولوا فقل آذنتكم لي سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون" الآية 109 من سورة الأنبياء، والثاني يمثل الثواب الذي

---

[1] – عادل نويهض، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، ص: 71.

[2] – المرجع نفسه، ص: 72.

[3] – أحلام بالولي، بلاغة اللغة في ادب المقال الإصلاحي عند الإبراهيمي، مذكرة ماجيستير ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في البلاغة والنقد الادبي، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب ، 2013 – 2014، ص: 132

[4] – المرجع نفسه، ص: 340.

أعده الله لعباده الصابرين وقد أخذه من قوله تعالى: "تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين" الآية 49 من سورة هود.

وفي قوله عن المعلمين المتهاوين، يقول: "ولو انهم سامحهم الله قاموا بواجباتهم أو بعضها، لخففوا عنا الكثير وهونوا علينا العسير"[1].

فالكاتب هنا يرجوا أن يقوم المعلمون بواجبهم وهذا ممكن، فأخرج المعنى الممكن الوقوع في صورة المستحيل، فحقق بذلك وظيفة البلاغة والجمال معا.

وقد أوصى الإبراهيمي أولياء التلاميذ بأن يسهروا على حماية أبنائهم ممّن يلهونهم عن الدراسة حيث نجده يقول لهم: "إذا اعترض أبناءكم وهم في طريقهم إلى العلم لصوص ... أتسكتون وتقعدون عن نجدتهم"[2].

فقد أخر المسند إليه وهو الفاعل (لصوص) لتشويق القارئ له والأصل قوله: إذا اعترض لصوص لتشويق القارئ له والأصل قوله (إذا اعترض لصوص أبناءكم)...

فهنا كان الكاتب متعمدا التأخير حتى يجعل القارئ يتساءل ماذا اعترض طريقهم؟ وهذه طريقة لجذب القارئ إلى مواصلة القراءة والتركيز على ما يريد أن يصل إليه الكاتب.

وفي الأخير نجد أن الكاتب يؤكد على تمسكه برسالة التعليم فنجده يقول في ثقة وعزم: "ففي هذه الغاية السليمة التي في تحقيقها نجتهد ونكدح و في الوصول إليها نعمل، وفي العمل لها نلقى الأذى، وفي الأذى نلقى راحة الضمير واطمئنان النفس"[3].

فالإبراهيمي في هذا النص يؤكد على تمسكه برسالة التعليم حتى ولو لقي في ذلك الأذى والصعاب والمهم عنده هو راحة الضمير.

كما نلاحظ في العبارة السابقة أربعة تقديمات للجار والمجرور على الفعل، فتقديم شبه الجملة (في تحقيقها) على الفعل (نجتهد) مثلا يريد تخصيص اجتهاد الجمعية لتحقيق هذه الغاية دون غيرها[4].

[1] – أحلام بالولي، بلاغة اللغة في ادب المقال الإصلاحي عند الإبراهيمي، مذكرة ماجيستير ، ص: 340.

[2] – المرجع نفسه، ص: 111.

[3] – المرجع نفسه: 113.

[4] – المرجع نفسه: 114.

وأختم هذا البحث بنصيحة رائعة أوصى بها الإبراهيمي أبنائه المعلمين والمتمثلة في تحكيم ضمائرهم ومراقبة الله أثناء أداء عملهم، يقول: "فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية واشربوه عرفان قيمتها"[1].

2. الإصلاح الأخلاقي:

أ- قضايا الشباب:

لقد تعرض الإبراهيمي إلى الواقع الاجتماعي لأمته، واهتم لشؤون مجتمعه وانبرى يحارب بعض المظاهر الدخيلة عليه في مقدمتها الانحلال الخلقي، وهو حين يتناول هذه القضايا ويعالجها، يسعى لبناء الشخصية الجزائرية وإعدادها إعدادا وطنيا سليما، وذلك من خلال نظرة شمولية تتعدى المفهوم الضيق للوجه التعبدي من الإسلام، فهو يرى في هذا الأخير "دستورا متكاملا من شأنه إحداث نهضة حقيقية"[2] والمتتبع لإنتاج الإبراهيمي الفكري يجده مرآة عاكسة للانحلال الخلقي الذي كان يعيشه الجزائر، غير أنه لم يكن يتوقف عن حد فضح ذلك الانحلال وتعريته، بل كان يجدُّ في إيجاد الحلول المناسبة وكان يرى بثاقب عين أن الأمة الجزائرية كانت تعاني عدة مشاكل اجتماعية لا يسع المصلحون إغفالها ولا السكوت عليها ومن بين هذه المشاكل نذكر بعضها: مشكلة الزواج، الطلاق والصداق...

- الزواج:

فلقد خصص الإبراهيمي لهذه القضية مقال خاص جاء بعنوان (الشّبان والزواج)، فنجده في الأول يبسط المشكلة فيقول: "تعاني الأمة الجزائرية... عدة مشاكل اجتماعية... أعضل هذه المشاكل وأعمقها أثرا في حياة الأمة وأبعدها تأثيرا في تكوينه مشكلة الزواج بالنسبة إلى الشبان، فالواقع المشهود بأن الكثير من شبابنا -وهم أملنا وورثة خصائصنا- يعرضون عن الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق... فيضيع على الجنسين ربيع الحياة ونسماته وازدهاره وبهجته وقوته ويضيع على الأمة نبات ذلك الربيع، وثمر الخصب والزكاة والنماء فيه، ثم تضيع بسبب ذلك أخلاق

[1] - أحلام بالولي، بلاغة اللغة في ادب المقال الإصلاحي عند الإبراهيمي، مذكرة ماجيستير ، ص: 185.

[2] - نسيمة سعيدي وحياة عمارة، مفهوم التجديد عند البشير الإبراهيمي، ص: 286

وأعراض وأموال، وإذا زادت هذه الغاشية فشوا واستحكم هذا التقليد فإن الأمة تتلاشى عشرات السنين"[1].

ويقصد الإبراهيمي بالتقليد الفاسد، إعراض الشباب عن الزواج، وحين كان يدعو الإبراهيمي إلى الزواج المبكر والتناسل، كان واعيا جدا بالمراحل الصعبة التي كان يمر بها المجتمع الجزائري والتي تميزت "بارتفاع معدل الوفيات عند الأطفال والشيوخ نتيجة الجوع والمرض والفقر، بالإضافة إلى عملية التقتيل والنفي والهجرة التي كان يمارسها الاستعمار الفرنسي في الجزائر"[2].

وفي معالجته لأسباب تأخر الشباب عن الزواج، يلجأ إلى تصنيف الشباب إلى فئتين، الفئة المثقفة وغير المثقفة، ثم يذكر أسباب كل واحد منهما فيقول: "شبابنا الأعزاب المتأولون نوعان، من حيث الثقافة وعدمها، فأما المثقفون الذين يستغلون ثقافتهم ويعيشون فيبالغون كلما ذكر الزواج في الاحتياط بالمستقبل والاستعداد لتكاليف النسل وعذرهم يطوي أشياء يلوحون لها تارة ويصرحون بها تارة أخرى"[3].

والحقيقة أن موقفهم هذا راجع إلى تأثرهم بالثقافة الغربية حتى صار الشباب بذلك "يأنف من الفضيلة إذا كانت أمية ولا يأنف من الرذيلة إذا كانت متعلمة"[4].

وقد استخدم الكاتب في هذا النص المقابلة بين (يأنف ولا يأنف) و(الفضيلة والرذيلة) و(أمية ومتعلمة)، فعوض من أن يتزوج من المرأة الصالحة الخلوقة، فهو يتحاشى ذلك، زاعما أنها أمية، ولا يجد حرجا من أن يتزوج بغير المتخلقة بدافع أنها مثقفة والمغزى من هذه المقابلة "دعوة الشباب إلى الطهر والعفة وتحصين النفس من الشهوات ومن كل الشوائب"[5].

ثم يواصل الكاتب حديثه، فيقول: "وأما غير المثقفين وهم الذين يعتمدون على العمل الجسماني، ولم يصل بهم فساد الذوق إلى احتقار الجنس، فهم يخلقون عن تأخير التزوج أعذارا أخرى منها المقبولة و منها المردودة، ولئن سألتهم ليقولون، كيف نتزوج مع هذه الشروط المرهقة، وهذه

[1] – عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص: 82

[2] – زهور ونيسي، بعض من رؤية العلامة الإبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 1، 2007، ص: 90

[3] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 284.

[4] – أحلام بالولي، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي، مذكرة ماجيستير، ص: 171.

[5] – المرجع نفسه، ص: 171.

العوائد التي تجلب الإفلاس على الأغنياء فكيف بالفقراء أمثالنا فإن كثيرا منهم لصادق في كثير من هذه المعاذير وإن عذرهم لبيّن ولا نلحقهم في هذا ملامة"[1].

وبعد هذا العرض الواضح المقنع للمشكلة ونتائجها يقدم الحل متمثلا في المبادرة بالزواج، ويذكر ثماره الواسعة فيقول في نهاية المقال:

"أيها الشبان! إنكم لا تخدمون وطنكم وأمتكم بأشرف من أن تتزوجوا فيصبح لكم عرض تدافعون عنه وزوجات تحامون عنهن، وأولاد يوسعون الآمال هنالك تتدربون على المسؤوليات، وتشعرون بها، وتعظم الحياة في أعينكم وبذلك تزداد القومية قوة في نفوسكم، إن الزوجة والأولاد حبل تربط الوطني بوطنه، وتزيد في إيمانه وإن الإعراض عن الزواج فرار من أعظم مسؤولية في الحياة، ولمن تخدم الأوطان؟ إذا لم يكن ذلك لحماية من على ظهرها من أولاد وحرم ومن في بطنها من رفات ورمم"[2].

فعبارة "لمن تخدم الأوطان" إذا لم يكن ذلك لحماية من على ظهرها من أولاد وحرم من في بطنها من رفات ورمم "فهنا يرد الكاتب تحفيز الشباب على الزاوج، كما نلاحظ وجود استعارة مكنية وذلك: "لأن الكاتب شبه الوطن بإنسان، فحذف المشبه به وأبقى على قرائن دالة عليه: ظهرها وأولاد وحرم وبطنها"[3].

يواصل الإبراهيمي تشخصيه لأحوال المجتمع الجزائري ومن ذلك محاربته لآفة زواج الجزائريين بالأجنبيات وعلى الخصوص الفرنسيات، وما ينجر عن هذا الزواج من انحلال خلقي وانسلاخ الزوج عن أصالته، والذوبان في شخصية الغير، فضلا عن معاملة الزوجة الأجنبية وأهلها للزوج العربي على أساس أنها هي السيدة وهو المسود، ويقرر الإبراهيمي هذه الحقيقة، فيقول: "إن الغرب لا يعطينا إلا جزءا مما يأخذه منا، ولا يعطينا إلا بما يعود علينا بالوبال، فقد أعناه على أنفسنا، فأصبح الواحد

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 324

[2] – عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص: 82.

[3] – أحلام بالولي، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي، مذكرة ماجيستير، ص: 185.

المهاجر منا إلى العلم يذهب بعقله الشرقي فينبذه هناك كأنه عقال على رأسه لا عقل في دماغه ... ومنهم من يأتي بعقل غربي ومعه امرأة تحرسه أن يزيغ"[1].

- الصداق:

لقد خصص الإبراهيمي أيضا لهذه المشكلة مقالا بعنوان ""الصداق ... وهل له حدّ؟ فنجده في البداية قد استهله بمقدمة أبرز فيها سبب تفشي ظاهرة التعسير على الشباب في قضية المهور، فيقول: "من أمراضنا الاجتماعية التي تنشر في أوساطنا الفساد والفتنة، وتعجل بها إلى الدمار والفناء –عادة– المغالاة في المهور"[2].

ثم نجده يأصل لهذه القضية بتعريفه للصداق كما أعطى الحكمة من مشروعيته على أساس أنه من عقود البيوع،" وإنما هو جبر لما نقص المرأة من الميراث..."[3].

ثم يبين أن هذه الظاهرة ليست جديدة بل عرفها المسلمون الأوائل فلم يضعوا لها حدا بسبب عدم وجود نصّ في القرآن الكريم والسنة ينهى عن ذلك وفي الأخير يفصل الشيخ في القضية بحنكة المصلح الاجتماعي، فيقول "والخلاصة أن الشريعة المطهرة الحكيمة لم تحدد في الصداق حدا أدنى ولاحدا أعلى لأن الناس طبقات فقراء وأغنياء وبين ذلك..."[4].

- الطلاق:

وهي من المشكلات التي شغلت فكر الإبراهيمي لخطورتها على الأسرة، وعلى الأولاد بوجه الخصوص، فنجده يبدأ بالحديث النبوي الشريف: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق"، ثم يقول: "الطلاق حل عقدة وبث حبال، وتمزيق شمل وزيال خليط"[5].

---

[1] – الميلود قردان، ملامح السخرية في أدب الإبراهيمي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجيستير، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2010-2011/1431-1432 هـ، ص: 178.

[2] – أحلام بالولي، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي، مذكرة ماجيستير، ص: 80.

[3] – المرجع نفسه، ص: 80-81.

[4] – المرجع نفسه، ص: 81.

[5] – زهور ونيسي، بعض من رؤية العلامة الإبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، ص: 92.

ولعل أسوأ نتيجة تترتب عن الطلاق في نظره هي ضياع الأبناء وشقائهم، "فإذا ربوا في أحضان أمهم المطلقة شقوا ببعدهم عن أمهم ويشقى بهم أبوهم بما تبثه أمهم في أنفسهم من حقد وكراهية له ولهذا فإن الاستقرار الاجتماعي لن يتحقق إلا إذا ترعرع الأولاد في أحضان الآباء والأمهات أين يتلقون العطف والحنان من الطرفين لا من طرف واحد"[1].

ثم نجده يختم في الأخير بقوله: "ليت شعري هل يدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمتهم"[2].

ومن خلال هذا يظهر بشكل واضح وجلي خطورة هذه القضية والتي أصبحت تهدد المجتمعات، وعلى هذا ينبغي السعي إلى الإصلاح بين الزوجين إذا حدثت بينهم مثل هذه المشكلة، وذلك حتى ينعم الأولاد بالراحة والطمأنينة والسعادة.

3. تحليل نموذج من مقالاته بعنوان "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر".

لقد خص الإبراهيمي الشباب الجزائري بمقالات عدة يحثه فيها على مكارم الأخلاق، ويؤكد على ضرورة التمسك بالدين، وتعد مقالاته (الشباب المسلم الجزائري كما تمثله لي الخواطر) سجلا أخلاقيا عظيما مجربا وهي أحاديث خواطر يتجلى فيها الإبراهيمي أبا حكيما ومربيا مجربا وهو يتمنى أن يرى شباب الجزائر مقداما على ما فيه صلاحه وصلاح وطنه ثم صلاح الأمة الإسلامية ومما قاله في هذه المقالات: أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في طلبها، طاغيا عن القيود العائقة دونها، جامحا عن الأعنة الكابحة في ميدانها.

أتمثّله مقداما على العظائم في غير تهور محجاما عن الصغائر في غير حين، مقدرا موقع الرجل قبل الخطو، جاعلا أول الفكر آخر العمل.

أتمثله واسع الوجود لا تقف أمامه الحدود يرى كل عربي أخاله أخوة الدم وكل مسلم أخاله، أخوة الدين.

---

[1] – بشير فايد، قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، الجزء الأول"، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 1430-1431 هـ/ 2010-2009

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج:3، ص: 300.

أتمثله حلف عمل لا حليف بطالة وجليس معمل لا جليس مقهى وبطل أعمال لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة لا رائد خيال.

أتمثله برّا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا مزوّرا عن الحضارة الّتي رمته بقشورها فأرخت أعصابه وأنشّت شمائله[1].

أتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع إقبال النحل على الأزهار والثمار لتصنع الشهد والشمع مقبلا على الارتزاق إقبال النمل تجدُّ لتجد، وتدخّر لتفتخر.

أتمثّله محمدّي الشمائل، غير صخّاب ولا عيّاب ولا مغتاب ولا سبّاب عفّا عن محارم الخلق، ومحارم الخالق، مقصور اللّسان إلا عن دعوة إلى الحقّ أو صرخة في وجه الباطل.

يا شباب الجزائر!

ما قيمة الشباب؟ وإن رقت أنداؤه، وتجاوبت أصداؤه وقضيب أوطاره.

بل ما قيمة الكهولة؟ وإن استمسك ببنيانها واعتدل ميزانها وفرت عن التجربة والمراس أسنانها.

بل ما قيمة المشيب؟

ما قيمة ذلك كله؟ إذا لم تنفق دقائقه في تحصيل علم ونصر حقيقة ونشر لغة ونفع أمة وخدمة وطن.

يا شباب الجزائر هكذا كونوا ... أو لا تكونوا.

أتمثله شديد الغيرة، حديد الطيرة، يغار لبنت جنسه أن تبور وهو يملك القدرة على إحصانها[2].

أتمثله معتدل المزاج الخلقي بين الميوعة والجمود، وبين النسك والفتك.

أتمثله كالدينار يروق منظرا، وكالسيف يروغ مخبرا وكالرمح أصدح ما يوصف به أن يقال ذابل.

أتمثله عفَّ السّرائر، عفَّ الظواهر، لو عرضت له الرّذيلة في الماء ما شربه وآثر الموت ظمأ على أن يرد أكدارها.

أتمثّله مقَدِمَا لدينه قبل وطنه ولوطنه قبل شخصه، يرى الدين جوهرا، والوطن صدفا.

[1] – ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 586.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 587.

أتمثّله بانيا للوطنية على خمسه، كما بنى الدين قبلها على خمس: الشباب آفة الشباب واليأس مفسد للبأس والآمال لا تدرك بغير الأعمال والخيال أوّله لذّة و آخره خبال، والأوطان لا تخدم باتّباع خطوات الشيطان.

يا شباب الجزائر ... هكذا كونوا ... أولا تكونوا...[1].

- التّحليل الأسلوبي للمقال:

من خلال قراءة المقال نستنتج ما يلي:

لقد ركز الإبراهيمي في هذا النص على فكرة رئيسية ومهمة والتي تتمثل في ضرورة تقديم الدين عن الوطن بالدرجة الأولى، لأن صلاح المجتمع في نظره لا يتم إذا أصلحنا ديننا، وإذا تم هذا الأمر فسنخرج فعلا جيلا قادرا للدفاع عن دينه ووطنه، لذلك ركز الإبراهيمي على تقديم الدين عن الوطن وكل هذا يدل على نزعته الدينية الروحية والتي نجدها تغلب على جل كتاباته الأدبية.

ولقد برزت هذه النزعة من خلال الأسلوب الذي قدم بواسطته الكاتب أفكاره، فكان "أسلوبا عربيا متشبعا بلغة القرآن الكريم"[2].

إن النص الذي بين أيدينا ينتمي إلى الأدب الاجتماعي والذي يهدف إلى تكوين مجتمعات سليمة في أفكارها لا يتم ذلك إلا عن طريق تهذيب الشباب وتربيتهم وإمدادهم بالنصائح القيمة والثمينة.

كما يدل اختيار الكاتب لهذا الموضوع على صدقه وأصالته فقد كان مربيا ومعلما ومخلصا لدينه ووطنه، فقد أدرك إمامنا الجليل بأن التربية هي التي تسهم في بناء الشعوب وتقدّم المجتمعات.

وبهذا فالنص في الحقيقة ما هو إلا عبارة عن: "مجموعة من الخواطر تدعو الشباب إلى التمسك بالقيم العالية"[3].

[1] - ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر ، ص: 594.

[2] - إيمان تيارتي، فن الخطابة عند الخطابة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، في الدراسات اللغوية، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، الملحقة الجامعية مغنية، 2015- 2016، ص: 63.

[3] - المرجع نفسه، ص: 64.

والملاحظ في هذه الخواطر التي صاغها لنا الإبراهيمي، غياب الترتيب فيما بينها، وهذا ما يجعلنا نقدم أي فكرة عن الأخرى دون وقوع خلل في المعنى، وكل ذلك راجع إلى تجانس الأفكار وسيرها في خط واحد.

لقد احتوى النص بذلك على قيم إنسانية عظيمة والتي تتمثل في: "دعوة الشباب إلى الالتزام بالقيم النبيلة فيتزن في أداء واجبه نحو مجتمعه العربي الإسلامي، زيادة عن القيم الاجتماعية والمتمثلة في: "الدعوة إلى العمل وتمجيده ومحاربة البطالة والتنفير من آثارها واتخاذ العلم سلاحا في الحياة من أجل التقدم والنهوض"[1].

ولقد أحسن الإبراهيمي في نصه هذا التنسيق بين الأفكار والحروف فنجد هذه الأخيرة منحوتة من الفصاحة العالية حين يجاور بعضها بعضا، فمثلا في قوله: "أتمثله بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا مزوّرا عن الحضارة التي رمته بقشورها فأرخت أعصابه، وأنثت شمائله وخنثت طباعه، وقيدته بخيوط الوهم، ومجّت في نبعه الطاهر السموم وأذهبت منه القفص من الأسد من بأس وصولة"[2].

كما نجد أن أسلوبه في هذا النص هو: "امتداد لمدرسة الصنعة التي تهتم بانتقاء الألفاظ وتجويد العبارات وتزيينها بمختلف الألوان البديعية"[3].

ومثال عن هذه الألوان ظاهرة الاقتباس والاستشهاد، من ذلك قوله: "مقدارا موضع الرجل قبل الخطو"، فهذا اقتباس من قول الشاعر "قدم لرجلك قبل الخطو موضعها"[4].

كما نجد أن الكاتب قد استخدم عبارات واضحة وإن تخللها بعض الغموض مثل قوله: "جاعلا أول الفكر آخر العمل"، فهو يريد بهذه العبارة تسليط الضوء على فكرة العمل، حتى لا يقع الشباب في الانحراف والتّهور[5].

---

[1] – إيمان تيارتي، "فن الخطابة عند الإبراهيمي"، مذكرة ماستر، ص: 64.

[2] – المرجع نفسه، ص: 65.

[3] – المرجع نفسه، ص: 66.

[4] – المرجع نفسه، ص: 66.

[5] – المرجع نفسه، ص: 66.

كما نجد أن الأساليب قد تنوعت بين الخبر والإنشاء لكن ما يلاحظ هو أن الأسلوب الغالب في هذا النص هو الأسلوب الخبري، أما الأسلوب الإنشائي، فلا نجده إلاّ في بعض من الأجزاء والمتمثل في النداء، وذلك في مثل قوله: "يا شباب الجزائر هكذا كونوا! ...أو لا تكونوا! والغرض من هذا النداء هو:" الدلالة على التنبيه، و في هذه العبارة أيضا أمر يشير إلى التهديد والإنذار والذي يوحي بحرص الكاتب على تمثل الشباب لدعوته وتمسكه بنصائحه"[1].

كما نجد الاستفهام في نصه أيضا، مثل قوله ما قيمة الشباب؟ وإن رقت أنداؤه، وتجاوبت أصداؤه...

وكذلك قوله: بل ما قيمة الكهولة؟ وإن استمسك بنيانها واعتدل ميزانها...

بل ما قيمة المشيب؟

ج- التحليل البلاغي:

لقد حاول الكاتب في مقاله هذا، التنويع بين مختلف علوم البلاغة الثلاثة من المعاني والبيان والبديع، فإذا اتجهنا نحو علم البديع نجده قد استخدم مختلف الألوان البديعة في هذا النص ومن بينها: السجع، المقابلة....

- السجع:

فهذا اللون كان يأخذ نصيبا كبيرا في كتاباته الأدبية، "فالسجع الذي التزمه الكاتب فيها لم يقلل من روعتها وجمالها بل زادها ملحا وماء وزخرفا وبهاءً، لأن السجع إذا جاء في الكتابة الفنية عفوا يكون تحلية للكلام وزينة للأدب"[2].

ومن أمثلة السجع الواردة في هذا النص قوله:

- "واسع الوجود لا تقف أمامه الحدود".
- " بطل عمل لا ماضغ أقوال
- "أتمثله شديد الغيرة، جديد الطيرة".

- الطباق:

[1] - إيمان تيارتي، "فن الخطابة عند الإبراهيمي"، مذكرة ماستر، ص: 67.

[2] - المرجع نفسه، ص: 68.

لقد اهتم الإبراهيمي بهذا اللون، كونه يسهم في توضيح الفكرة المراد توصيلها وما تكون الكلمة الواردة في كلامه صعبة الفهم للقارئ فعند سماع نقيضتها تصبح سهلة عنده ومن أمثلة ذلك قوله:

- "جاعلا أول الفكر آخر العمل"
- "مرتاد حقيقة لا رائد خيال"

- المقابلة:

من الأمثلة عن ذلك"

- أتمثله مقداما على العظائم في غير تهور محجاما عن الصغائر في غير جبن.
- أتمثله حلف بطالة لا حليف بطالة
- مرتاد حقيقة لا رائد خيال

- الجناس:

من الأمثلة عن ذلك قوله عن النحلة:

"تجد لتجد"، فنجد الأولى تدل على المثابرة والاجتهاد في العمل، أما الثانية من الفعل "وجد"" بمعنى الحصول على الشيء، أو العثور عليه وقوله كذلك: "عفا عن محارم الخلق، ومحارم الخالق"، فالجناس هنا نجده بين كلمة "الخلق" وبين كلمة "خالق" والمقصود بالأولى البشر وأما الثانية فالمقصود منها الله سبحانه وتعالى.

- التشبيه: من ذلك قوله

- أتمثله مقبلا "إقبال النحل"، فهذا تشبيه "يدل على مواصلة الكفاح المنظم"[1].

وكذلك قوله: "جامحا عن الأعنة"، فهنا "تصوير لقوة تغلب الشباب عن الصعاب وتحديهم للعقبات"[2].

إضافة إلى استخدامه لبعض الألفاظ الموحية، من ذلك قوله مثلا: "عربيد"، والتي استخدمها الكاتب هنا للدلالة على طلب الشباب للمعالي بحيوية وقوة.

[1] – إيمان تيارتي، "فن الخطابة عند الإبراهيمي"،(مذكرة ماستر)، ص: 72

[2] – المرجع نفسه، ص: 72

وفي النهاية نخلص إلى أن هذا النص ذو شقين: "شق أدبي وشق تربوي، فالشق الأول يظهر من خلال التعبير الراقي، أما الجانب التربوي فيبرز من خلال التوجيه المقصود والذي كان الإبراهيمي يستمد أصوله من الدين الإسلامي الحنيف"[1].

[1] - المرجع نفسه، ص: 73.

المبحث الثّالث

الإبراهيمي والقضية الفلسطينيّة.

المبحث الثالث: الإبراهيمي والقضية الفلسطينية:

1. اهتمام الإبراهيمي بالقضية الفلسطينية:

كان إحساس الجزائريين بفلسطين ومأساتها إحساسا حادّا وعميقا لأنهم عانوا من الاحتلال الفرنسي أكثر من قرن، ويعد الشيخ محمد الإبراهيمي في مقدمة من كتبوا عن فلسطين سلسلة من المقالات المتوالية في جريدة البصائر بعد عودتها سنة 1947.

وقد ألمّ في مقالاته هذه بالقضية من شتى أطرافها عبر عن المأساة بإحساس وانفعال صادقين، كما عبر عن ارتباط الشعب الجزائري بها، "وركز على العاطفة الدينية، واعتبر أن مسؤولية الجزائريين المسلمين في هذه القضية مثل مسؤولية باقي العرب"[1].

إن تفاعل الإمام الإبراهيمي مع أحداث العالم الإسلامي والعربي كان كبيرا، ذلك أن هذا مما تحتمه أخلاق الرجولة وتفرضه الوطنية الصادقة النزيهة والشعور بالولاء التام والانتماء المطلق لهذه الأمة لكن القضية الفلسطينية كان لها مكانا متميزا وموقعا متقدما في اهتماماته بقضايا العالم العربي والإسلامي فهي عنده "بمنزلة الرأس من الجسد، والربيع من الزمان والسويداء من القلب"[2].

فقد كان لفلسطين من كفاح الإبراهيمي سهم وافر لقد اعتبرها قضية العرب المسلمين الأولى ومشكلة المشكلات في العصر الحديث، نبه لأخطار الصهيونية وحذّر من الاعيب اليهود العالمية ومكرها وخداعها قبل أن تقع الكارثة ولا غرابة في هذا فالإبراهيمي كان يرى "أن بيت المقدس جزء من الدّين الإسلامي وواجب الدفاع عنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة"[3].

ولقد عُدّ الإبراهيمي من كتاب المقالة السياسية حول هذا الموضوع (القضية الفلسطينية)، " فأعمل قلمه وأعنت فكره حول هذه القضية حتى لم يكد يغادر شيئا يقال حولها إلا قاله مفصّلا مطنبا[4].

---

[1] – عبد الله الركيبي، "فلسطين في الأدب الجزائري الحديث"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 152.

[2] – محمد دراجي، المشرق العربي، ص: 13.

[3] – عبد الله التل، "محمد البشير الإبراهيمي، فقيد العروبة والإسلام"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط. 2، 2007، ص: 131.

[4] – ينظر: عبد الملك مرتاض، "فنون النثر الجزائري الحديث"، 1931، 1954، ديوان المطوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 118 – 119.

لقد شغلت القضية الفلسطينية فكر الإبراهيمي ومثلت في مقالاته حملا ثقيلا، وكوّنت عنده العصب الحساس في بعده السياسي، وقد طرح فيها المشكلة على أنها مشكلة لا تستدعي البكاء والنّحيب، بل على أنها مشكلة سلب واغتصاب متّهما المسؤولون العرب بأنهم السبب في ضياع فلسطين، وقد ختم قرار اتهامه بالكلمات التالية: "أنا مريض والموضوع طويل عريض، ولقد أصبحت بين أمرين: هم يتجدد وطبيب يتشدد، وإنّ حقّ الضمير لأؤكد عندي من حق الجسد"[1].

2. دوافع اهتمام الإبراهيمي بالقضية الفلسطينية:

لقد اهتم الإبراهيمي بالقضية الفلسطينية اهتماما كبيرا وذلك لأسباب كثيرة من بينها: أنّ فلسطين أمانة عندنا يجب المحافظة عليها وحمايتها من أيدي اليهود الغاصبين، يقول في ذلك: "إن قضية فلسطين وديعة محمد عندنا، وامانة عمر في ذمتنا وعهد الإسلام في أعناقنا فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون"[2].

فالإبراهيمي في هذا النص ينقل قضية فلسطين معركة قائمة تحتمت أن تكون قدرا من أقدار هذه الأمة العربية الإسلامية يمتحن فيا أصالتها وإدارتها بالحياة[3].

كما نجد الإبراهيمي في حديثه عن فلسطين السليبة، يحاول أن يستعرض الخضوع والتقاعس، المسلط على الأمة الإسلامية والعربية التي لا بد لها من أن تستقرئ ماضيها الحافل بالأمجاد فيقول: "فكيف لا ينتخي بخيله التي وردت المشارف من هو في السر منفهر ومن الذوائب من قريش وما وردت إلاَّ لإنقاذ تراث الخليل من يد الدخيل"[4].

---

[1] – السعيد بوبقار، "فلسطين في أدب الإبراهيمي"، دراسة تحليلية فنية، مذكرة ماجيستير، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1428هـ، 1429 – 2007، 2008

[2] – المجلس الأعلى للغة العربية، مقتطفات من آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ص: 7.

[3] – ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص: 112.

[4] – محمد درق، "ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، مذكرة ماجيستير في اللغة العربية والادب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009، 2010/ 1430، 1431، ص: 120.

فالإبراهيمي من خلال هذا النّص يدعو إلى المحافظة على الإرث العظيم الذي تركه إبراهيم الخليل في فلسطين وبالمسجد الأقصى الذي استولى عليه اليهود وهو يستخدم في هذا النص (إلاّ) والتي خصصت قدوم تلك الكتائب العربية الإسلامية لفتح بيت المقدس[1].

ومن ذلك قوله عن فلسطين في موضع آخر: "أيها العربي الحق سافر والعدو كافر، والقوي ظافر، فعلاما تنافر، خصمك إلى خنافر؟ ويلك إن المنافرة لا تكون إلا في الشكوك، وأن الحق تحميه السيوف لا الصكوك، وويحك أن منافرة الكهنة إلى الكهنة، فالجبنة مرتهنة، مجلس الأمن فحين والراضي بحكمه ووضعه سخيف، أنهم ليسوا من شكلك وأنهم متفقون على أكلك"[2].

ففي النص مزاوجة بين الأسلوب القديم وبين الواقع الحديث فيستلهم الكاتب عناصر التراث لشرح واقع الأمور، مستخدما السجع في أسلوب تراثي قديم، فلجأ إلى ضرب المثل بالعناصر التاريخية لتوضيح المعنى وإيصاله إلى القارئ[3].

وفي مقال آخر بعنوان "واجباتها على العرب" يعبر عن مشاعره ويبين الدوافع التي دفعته للعناية بقضية فلسطين ويشرح لماذا تؤرقه هذه القضية.

ويجيب "بأنه يعتبر نفسه فلسطينيا بحكم عروبته وإسلامه، ذلك أن عروبته تملي عليه أن يجند قلمه للدفاع عن فلسطين وأهلها مثل ما يمليه عليه إسلامه"[4]

وهو يبرز ذلك بأمور كثيرة يستمدها من الانتماء ومن العقيدة ومن التاريخ، يقول: "كاتب هذه السطور عربي يعتز بعروبته إلى حد الغلو، ويعتد بها إلى حد التعصب ويفخر بأبوة العرب له إلى حد الانتخاء"[5].

ما يود الإشارة إليه هنا هو أن له بذلك كله جميع ما يفخر به الفاخرون من أحساب.

فالإبراهيمي بعد أن أوضح انتماءه وأن الضمائر مهما اختلفت وصفا للفرد والجماعة، ففي النهاية هي شيء واحد أنه عربي ولذلك من حقه أن يعبر عن فلسطين وعن أبنائها فهم منهم فليس

[1] – المرجع نفسه، ص:120,

[2] – محمد درق، "ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، مذكرة ماجيستير، ص: 130.

[3] – المرجع نفسه، ص: 130

[4] – عبد الله الركيبي، "فلسطين في الأدب الجزائري الحديث"، ص: 167.

[5] – المرجع نفسه، ص: 168.

بمدفق عن ذلك لأنه عربي أولا ومسلم ثانيا وفلسطيني بحكم العروبة والإسلام ثالثا، فله بإسلامه عهد لفلسطين من يوم اختارها الباري للعروج إلى السماء ذات البروج، وله إلى فلسطين "نسبة من يوم قال الناس مسجد عمر، بل من يوم قالوا "غزة هاشم"، فإذا لم يقم بالحق ولم يف بالعهد وسم بالعقوق لوطنه الأكبر ووسم بالخيانة لدينه الجامع"[1]

ولا ينسى الكاتب بعد ذلك أن يؤكد ما سبق أن قاله وهو الرابطة القوية التي تربط بين الجزائر وفلسطين كجزأين من أمة واحدة وه بهذا يرد على مزاعم فرنسا في ذلك الحين من أن الجزائر جزء منها والإبراهيمي يستغل المناسبة بذكاء ليضرب على هذا الوتر مؤكدا على عروبة الجزائر وانتمائها القومي، الأمر الذي يفسر انفعالها لما يجري في فلسطين.

واتجاه الإبراهيمي إلى معالجة القضايا العربية وخاصة المسألة الفلسطينية وقضية تقسيمها دليل ساطع على إنسانيته العظيمة وقوميته الراسخة فيه، ففي هذا الرجل قلب فيه شحنة قويه "تدفعه إلى التعبير عن ألمه ووجعه الذي يمثل ألم ووجع كل عربي مسلم له من الحس القومي والشعور الإنساني العربي، ما يجعله يتأثر بقضية فلسطين"[2].

3. تحليل نماذج من مقالاته حول فلسطين:

لقد كان الشيخ البشير الإبراهيمي كغيره من المصلحين الغيورين على القدس —ممن يشهد لهم بالسبق والريادة في كشف خيوط المؤامرة والخذلان ولقد كتب عن نكبة فقدان فلسطين عدة مقالات، من بينها مقال جاء بعنوان "تصوير الفاجعة"[3].

ولقد بدأ الإبراهيمي مقاله هذا بالنداء، فيقول: "يا فلسطين، إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من

[1] – عبد الله الركيبي، "فلسطين في الأدب الجزائري الحديث"، ص: 168.

[2] – لويزة حوفاف، نداء القومية وإشكالية العروبة في آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص: 295.

[3] – أحلام بالولي، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي، مذكرة ماجيستير، ص: 79.

وطني العربي الصغير وفي عنق كل مسلم جزائري لك يا فلسطين حق واجب الأداء والمهام وذمام متأكد الرعاية"[1].

فالإبراهيمي في هذا النص يدعو الجزائريين خاصة أن ينهضوا ويقوموا بواجبهم نحوها ولا يتهاونوا عن نصرتها ومساندتها لأنها قضيتهم الأولى ولكنه من جهة أخرى يلتمس الإبراهيمي العذر للجزائريين إذا لم يستطيعوا أن يفعلوا الشيء الكثير لفلسطين، ولم يتمكنوا من مساندة شعبها الشقيق مساندة فعالة وعذرهم في ذلك واضح وهو الاستعمار، فما تعاني منه فلسطين تعاني منه شقيقتها الجزائر، فكلتاهما ترزخان تحت وطأة الاحتلال وإن تنوعت أسماؤه واختلفت أجناسه[2].

بعد ذلك يعود الكاتب إلى التأكيد على حق العرب في فلسطين، كما يعبر عن مساندة وتعاطف الشعب الجزائري مع شعبه الفلسطيني، وأن ما يحدث هناك إنما هو امتحان للعرب جميعا، فيقول في ذلك: "إن قضية فلسطين محنة امتحن الله ضمائركم وهممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم وإنما هي للعرب كلها"[3].

وهنا نلاحظ أن الكاتب يرى في المأساة محنة من الله وهي نظرة تتماشى وفكرة الدين ، ولكن في الوقت نفسه يجعل من قضية فلسطين قضية عربية ولاشك أن الإلحاح والتأكيد على هذه الفكرة يقصد منه استنفار العرب للدفاع عن فلسطين باعتبارها جزءا من الأمة العربية بل إن الإبراهيمي يصرح بأن استرداد فلسطين لا يكون بالشعر والخطب، وإنما بالتصميم والعزم والقوة[4]. يقول: "إن الصهيونية وأنصارها مصممون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه وقابلوا الاتحاد باتحاد أمكن منه وكونوا حائطا لا صدع فيه"[5].

وينتهي في نهاية هذا المقال إلى تحليل الصهيونية، فيقرر بأنها: "من ظاهر أمرها وباطنه، نظم يقوم على الحاخام والصير في والتاجر، ويتسلح بالتوراة والبنك والمصنع، وغايتها جمع طائفة قدر لها

[1] – الإمام محمد البشير الإبراهيمي، "فلسطين"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد 57، جمادى الأولى والثانية 1407هـ، يناير فبراير 1987م

[2] – ينظر عبد الله ركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص: 153.

[3] – الإمام البشير الإبراهيمي، فلسطين.

[4] – ينظر: عبد الله ركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص: 157.

[5] – الإمام البشير الإبراهيمي، فلسطين.

أن تعيش وازعا بلا وازع، وقدر لها أن تعيش بلا وطن، ولكن جميع الأوطان لها، فجاءت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تسميه قولا فلسطين، ثم تفسره فعلا بجزيرة العرب، كلها، فهو في حقيقته استعمار من طراز جديد في أسلوبه ودواعيه وحجمه وغاياته، يجتمع مع الاستعمار المعروف في أشياء وتفرق بينها فوارق منها أن الصهيونية تعتمد قبل كل شيء على الذهب، تشتري به الضمائر والأرض والسلام ... تعتمد عليه وعلى الحيلة والمكر والتباكي والتصاغر في حينه"[1].

وكأن الشيخ أراد أن يرينا في هذا النص بأنه خبير بسير هؤلاء الذين احتلوا فلسطين على أروع ما يوصفون من الصدق، سلوكهم وتفكيرهم: "إذ لا شيء يعنيهم في الحياة غير الذهب الذي به يبتاعون الضمائر المريضة والأرض السليبة"[2].

وفي مقال آخر بعنوان: "العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء"، يناقش الكاتب نظرة الدول القوية إلى العرب وكيف أنها تختلف عن نظرتهم إلى اليهود فقد اختبروها وعرفوا كيف يفكر كل منهما.

على أن الكاتب يرى أن هؤلاء الأقوياء سنوا سلاحا قويا وهو سلاح الروح، ويشتد سخطه على الدول التي ناصرت اليهود وشاركت في قرار التقسيم، يقول: "إن العرب إذا حكّموا السيف، وأنهم سيأخذون حقهم بالدم الأحمر في حين أراد اليهود استلابه منهم بالذهب الأصفر"[3].

ومرة أخرى يبلغ به الغيظ فيتوعد الجميع بحرب طاحنة، على أن نقمته وسخريته تنصب على الحكومات والدول التي باعت فلسطين وليس لها الحق فيه، بل باعت أرضا وتاريخا وشعبا أعرق من هذه الدول المصطبغة، يقول في ذلك: "يا بخس فلسطين... أيبيعها من لا يملكها ويشتريها من لا يستحقها؟ يا هوان فلسطين، أيكون من ذوي الحق في بيعها تلك الدويلات ... التي لم يبلغ الكثير منها جزءًا مما بلغته فلسطين من مجد في التاريخ وسابقة في الحضارة، وفي نفع البشرية، بل لم تبلغ مجتمعة ما بلغته فلسطين من احتضان النبوات واستنباط الشرائع والعلوم والحكم"[4].

---

[1] – الميلود قردان، "ملامح السخرية في أدب الإبراهيمي"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجيستر، ص: 147.

[2] – ينظر: عبد الملك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، ص: 122.

[3] – عبد الله ركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص: 162، 163

[4] – المرجع نفسه، ص: 163.

وفي مقال آخر بعنوان: ماذا نريد لها وماذا يريدون "نجد الإبراهيمي يبين فيه منزلة فلسطين فيقول: "نريد فلسطين أن تبقى عربية وموطن الأنبياء ومنبت الوحي"[1].

ويواصل كلامه قائلا: "نريدها كذلك، ولكن نريدها أن تبقى للأديان المختلفة العابدة لإله واحد ... نريدها أن تبقى عربية للعرب الذين رفعوا كلمة الله فيها لا اليهود عبدة الدينار والدرهم.

نريد فلسطين المقدسة أن تكفل قدسية مكة المكرمة والمدينة المنورة، فهي تكملة للمسجدين، فتصبح ثالثة المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها..."[2]

ثم نجده يوازن بين ما يريده العرب لفلسطين وما يريده اليهود لها ويفاضل بين مطامع هؤلاء وبين أماني وأحلام أولئك، فيعدد مطامع اليهود التوسعية في "أن تصبح أرض النبوات نقطة انطلاق نحو تحقيق حلمهم في إسرائيل الكبرى"[3].

ويواصل الإبراهيمي التأكيد على أحقية العرب والمسلمين في فلسطين قانونا في حين يريدها الصهاينة بالحلم والطمع والمكر...

كما نجد الإبراهيمي يؤكد بأننا لم نرض بالتقسيم "لأنها ملك لنا وعزتنا تأبى علينا أن نتنازل عنها، في حين قبل اليهود بالتقسيم وطاروا فرحا ودقوا له البشائر"[4]

ثم يقول الإبراهيمي مواصلا كلامه: "نحن لم نرض بالتقسيم لأننا على حق وقبلوهم لأنهم على باطل، فهم كالسارق يقنع بكل ما حصل في يده لأنه لم ينل فيه إلا الحيلة والاستغفال"[5].

ثم انتقل بعد ذلك إلى مقال آخر بعنوان: "نداء وتحذير إلى الشعب الجزائري المسلم"

فهذا المقال عبارة عن نص من ثماني فقرات تسبقها عبارة تنبيهية في الأول (أيها الشعب العربي المسلم).

يبدأ الإبراهيمي مقاله هذا بمخاطبة الجزائريين، وذلك بعد وقوع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى وانهزام العرب، يقول في ذلك: "الظروف الصعبة التي تمر بها القضية الفلسطينية، وهذه المعركة

[1] – السعيد بوبقار، فلسطين في أدب الإبراهيمي، مذكرة ماجيستير،

[2] – السعيد بوبقار، فلسطين في أدب الإبراهيمي، مذكرة ماجيستير.

[3] – عبد الله ركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص: 164.

[4] –السعيد بوبقار، فلسطين في أدب الإبراهيمي، مذكرة ماجيستير.

[5] – المرجع نفسه،

الطاحنة بين الحق والباطل نتوجه إليك مخلصين بنصيحة تتضمن استمرار وحفظ الاتجاه وسلامة العاقبة"[1].

ثم يؤكد الإبراهيمي على قضية الانتماء ودرجاته لدى الجزائريين "إنه الانتماء للجزائر كوطن صغير وإلى إفريقيا الشمالية كوطن كبير، وجزيرة العرب كوطن يضم فلسطين"[2].

إن الشيخ الإبراهيمي بهذه الكتابات وبهذه اللهجة الدافقة بالإخلاص والغيرة العربية، لا يمثل في حقيقة الأمر نفسه، وإنما يمثل موقف الشعب الجزائري فلا تزال قضية فلسطين بالقياس إلى الشعب الجزائري قضية المصير الأكبر وستظل فلسطين ولو تغير وجه الزمان، وتحول مسار الشمس "عربية اللسان عربية القومية، عربية الماضي وعربية المستقبل، حتى ولو قضي على جميع الفلسطينيين لا سامح الله، فستظل فلسطين بالقياس إلى الشعب الجزائري فلسطين العروبة إلى أبد الآبدين"[3].

ونخلص في نهاية هذا الفصل إلى مجموعة من النقاط، هي كالآتي:

لقد اهتم البشير الإبراهيمي بمجموعة من المواضيع والقضايا التي كانت تخص المجتمع الجزائري بصفة خاصة والأمة الإسلامية بصفة عامة، فقد التزم في مقالاته بمعالجة هذه المواضيع والسعي أيضا لإيجاد الحلول لها، فكان يعرض للمشكلة ثم يبين أسبابها ثم يخلص في النهاية إلى الحل ومثال ذلك ما قدمه من نصائح وتوجيهات للعاملين في الميدان التعليمي والتربوي، ولعل أهم نقطة ركز عليها في هذا الجانب مسألة اللغة العربية، حيث اعتبر التعليم ما هو إلا وسيلة لنشر اللغة العربية والمحافظة عليها.

كما اهتم أيضا بالقضايا التي تشغل الشباب وتشكل بالنسبة إليهم عوائق وصعوبات ومن بينها: مشكلة المغالاة في المهور، وسبب اهتمامه بهذه القضية راجع إلى الآثار السلبية المترتبة عنها، والمتمثلة في نفور الشباب من الزواج والابتعاد عنه، بالإضافة إلى فساد أخلاقهم وانحرافهم في سلوكهم.

[1] – السعيد بوبقار، فلسطين في أدب الإبراهيمي، مذكرة ماجيستير.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – عبد الملك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، ص: 125.

خاتمة

خاتمة

وفي الأخير، أذكر بعض النّقاط المهمّة الّتي توصلت إليها بعد دراستي لهذا الموضوع، وهي كالآتي:

إن مصطلح الالتزام هو مصطلح جديد في ميدان الأدب والحقيقة أن مفهوم الالتزام قد ارتبط إلى حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه، ومدى علاقته بالحياة وما دام فكرة حديثه فقد عرف تعاريف عديدة ومختلفة، وذلك نظرا لاختلاف مذاهب الكتاب واتجاهاتهم.

إن المفهوم العام للالتزام هو مشاركة الأديب أو الشّاعر النّاس مشاكلهم الاجتماعية و السياسية، ومحاولة إعطائه الحلول الممكنة، كما أن الالتزام يقوم على الموقف الذي يتخذه الأديب.

ومن بين الكتاب الذين تميز أدبهم بطابع الالتزام: محمد البشير الإبراهيمي، فقد عرف بكتاباته ومقالاته الإصلاحية، والتي كانت تهدف إلى خدمة المجتمع ولقد تميز في مقالاته هذه ببلاغة الأسلوب، وقوة العبارة وجزالتها، بالإضافة إلى استخدامه للصور البيانية والمحسنات البديعية والتي أضفت على أدبه بعدا جماليا.

إن مفهوم المقال يتمثل في كونه قطعة نثرية محدودة في الطول، تكتب بطريقة عفوية ومبسطة بعيدا عن التكلف. لقد تميز أدب الإبراهيمي بالعديد من المميزات ولعل أهمها خاصية الالتزام فجاءت بذلك كتاباته هادفة وراء غاية، وهي غاية ذات قيم وأبعاد مختلفة.

ولقد عالج الإبراهيمي في مقالاته العديد من المواضيع المهمة، ومن بينها اللغة العربية، ولقد مثّلت عنده مركز نضاله ومواقفه.

كما عالج الإبراهيمي واقع التعليم العربي والتربية في الجزائر، فحاول إصلاح هذا الميدان من خلال إعطائه النصائح والتوجيهات للقائمين في هذا المجال ومن بينهم: المعلمين والمسؤولين، وذلك باعتبارهم العاملين في حقل تكوين الإنسان ونشر المعرفة.

خاتـمة

إن المتأمل في كتابات الإبراهيمي التربوية يجده أنه لم يفصل بين التربية والتعليم، لأن الأول بالنسبة إليه غاية والثاني وسيلة، ففي نظره ليتحقق الهدف المنشود لابد من الجمع بين الوسيلة والغاية، فكانت بذلك نظرته شمولية عامة، تترابط فيها أركان العملية التربوية.

كما أنّ المتأمل في أسلوبه يجده بأنّه أسلوب بليغ إلى درجة أنّه يحوي بداخله معان بليغة وراقية، وهذا ما جعل مقالاته تمتاز بالدّقة والتّركيز، وهذا ما جعله أيضا من كتّاب المقالة المعدودين في العصر الحديث.

ولعل أهم قضية عالجها الإبراهيمي أيضا: القضية الفلسطينية، فلقد فضح بمقالاته مطامع اليهود وكشف عن خبثهم ودناءتهم كما دعى العرب إلى عدم السكوت عن حقهم وطالبهم باسترداد بيت المقدس حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم وبهذا قد وضح الإبراهيمي العديد من المسائل والقضايا التي كانت غامضة ومن ورائها أهداف استعمارية، فكان له الفضل في إيقاظ الضمير العربي من غفلته، فألف تحية عليك يا حبيب الشّعب وألف رحمة عليك.

وفي الأخير أسأل الله العظيم أن يتغمذه في رحمته الواسعة هو ومن سار معه في طريق الكفاح والنضال.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- الحديث النبوي الشريف.

أ. **المصادر والمراجع**:

1. إبراهيم عوض، "فنون الأدب في لغة العرب"، دار النّهضة العربية، القاهرة، 1429 هـ، 2008.

2. إسماعيل عز الدّين:

- الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي، د.ت، ط: 3، د،ت.
- الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1433هـ/2012.

3. أحمد (أبو حاقة)، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 1، 1997.

4. أحمد طالب، الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة في الفترة ما بين (1931-1976)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرية.

5. أحمد (عيساوى)، أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط: 1، 1433هـ/2012م.

6. بأقلام معاصريه، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دار الأمة، الجزائر، ط: 2، 2007.

7. حسني محمود وآخرون، فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط: 1، 1955.

8. حسين بوحسون، أدبية الخطاب النثري عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، (دراسة)، دار الثقافة، بشار، ط: 1، 2011.

9. رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، دار كوكب العلوم الجزائر، ط1، 2009.

10. رجاء عيد، "فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1975.

11. سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث، النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط: 1، 1436هـ.

12. سليمة كبير، الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي، أمير البيان وحامي الشخصية الوطنية، المكتبة الخضراء، الجزائر د.ط، د.ت.

13. طلعت صبح السيد، المقالة في الأدب العربي، ط: 1، 1427هـ/ 2006م.

14. المجلس الأعلى للغة العربية، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية، منشورات المجلس، الجزائر، 2016م.

- مقتطفات من آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (منور الأذهان وفارس البيان)، الجزائر، 2009م.

15. محمد البشير الإبراهيمي:

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج:3، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1997م.
- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج: 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1997م.
- عيون البصائر، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، د:ط، 2007م.

16. محمد دراجي. المشرق العربي، عالم الأفكار، الجزائر، ط:1، 2009م.

17. محمد عباس، البشير الإبراهيمي، دار الفجر، وهران، د. ت، د: ط.

18. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م، القاهرة، د.ط.

19. محمد يوسف نجم فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 4، 1966م.

20. موسى صاري، البشير الإبراهيمي، 1889-1965م، منشورات سيدي نابل، الجزائر، د.ط، د,ت.

21. نبيل أحمد بلاسى، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

22. نبيل حداد، "في الكتابة الصحفية"، السمات، المهارات الأشكال، القضايا، دار الكندي، الأردن، 2002م.

23. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرّفض والتّحرير، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

24. عادل نويهض، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، دار الأبحاث، الجزائر، ط: 1، 1434هـ/2013م.

25. عبد الخالق ربيعي، فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د:ت.

26. عبد الرزاق قسوم، اللغة العربية في عهد الاستعمار، عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، ط:1، 2007م.

27. عبد الله ركيبي:

- تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م،
- فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2009م.

28. عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، الجزء 1، دار البشير، ط 7، 1429 هـ، 2008م.

29. عبد الملك بومنجل، النشر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط: 1، 2009م، الجزائر.

30. عبد الملك مرتاض:

- فنون النثر الجزائري الحديث 1931-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د:ط، 1983م.
- محمد البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبيعة، الجزائر، 1984م.

31. عمار بوحوش، "التّاريخ السياسي للجزائر"، من البداية ولغاية 1962م، دار البصائر، ط: 3، 2008م.

ب. المعاجم والموسوعات:

1. الربعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، الجزائر، ط: 1، ج: 2، 2002م.

2. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، دار الأبحاث، الجزائر، ط: 1، 1434هـ/ 2013م.

3. معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط: 4، 1425هـ/ 2004م.

4. محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، المجلد الأوّل، 1986م.

5. محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب والنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، د.ت.

ح. **الدوريات:**

- *المجلات:*

1. مجلة الثقافة، العدد 57، الجزائر، جمادى الأولى والثانية، يناير فبراير، 1987م.
2. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.، العدد الخامس، جوان 2009م،
3. مجلة المخبر، العدد الثاني عشر، 2016، الجزائر.

أ. **الرسائل الجامعية:**

- *رسائل الدكتوراه:*

1. بشير فايد، قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، الجزء الأول، رسالة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، وجامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 1430هـ -1431هـ/ 2009م- 2010م.

- *رسائل الماجيستير والماستر:*

1. إيمان تيارتي، فن الخطابة عند الإبراهيمي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، في الدراسات اللغوية، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، الملحقة الجامعية مغنية، 2015- 2016م.
2. أحلام بالولي، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي، (عيون البصائر أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في البلاغة والنقد الأدبي، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2013 – 2014م.
3. جمال مخلوفي، "التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة 1930-1956، مذكرة لنيل شهاد الماجيستير في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ علم الآثار، 2008-2009.

4. السعيد بوبقار، "فلسطين في أدب الإبراهيمي"، دراسة تحليلية فنية، مذكرة ماجيستير، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1428هـ، 1429 – 2007، 2008.

5. محمد درق، "ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، مذكرة ماجيستير في اللغة العربية والادب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009، 2010م/ 1430، 1431هـ.

6. الميلود قردان، ملامح السخرية في أدب الإبراهيمي، مذكرة تخرج لنيل الماجيستير، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2010-2011م/1431-1432 هـ.

ب. **المواقع الإلكترونية:**

1. www.bin-badis.net
2. www.diae.net
3. www.islamtoday.net
4. www.recue-ummto.dz

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات:

- إهداء.
- كلمة شكر وتقدير.
- مقدمة. .....أ – ج

مدخل: تعريف الالتزام 04

1. تعريف الالتزام لغة واصطلاحا 05
2. مفهوم الالتزام في الواقعية الاشتراكية 07
3. مفهوم الالتزام في الفلسفة الوجودية 09

الفصل الأول: حياة محمّد البشير الإبراهيمي و آثاره.....12

1- المبحث الأول: حياة البشير الإبراهيمي 13
2- المبحث الثاني: آثار محمد البشير الإبراهيمي 20

الفصل الثاني: فن المقال عند البشير الإبراهيمي 29

1- المبحث الأول: مفهوم المقال وأنواعه 30
2- المبحث الثاني: مميزات أدب الإبراهيمي 36

فهرس الموضوعات

3- المبحث الثالث: خصائص فن المقال عند الإبراهيمي 42

الفصل الثالث: مظاهر الالتزام عند البشير الإبراهيمي 47

1- المبحث الأول: البشير الإبراهيمي واللغة العربية 48

2- المبحث الثاني: التعليم والإصلاح الأخلاقي عند الإبراهيمي 59

3- المبحث الثالث: الإبراهيمي والقضية الفلسطينية 79

خاتمة 88

قائمة المصادر والمراجع 91

فهرس الموضوعات 100

الملخّص :

الالتزام هو مشاركة الأديب النّاس في آلامهم وأحزانهم وآمالهم. ويعد البشير الإبراهيمي من الذين عُرفوا بخاصية الالتزام في أدبهم، حيث تجسّد مفهوم الالتزام عنده من خلال نظرته إلى الكلمة على أنّها أمانة والمسؤولية على انّها ضمير، فاستحقّ بذلك أن يكون من رواد الإصلاح في الجزائر.

ولقد تميّزت مقالاته الإصلاحية بالنّظرة العميقة، المتفحّصة، بالإضافة إلى جمال الأسلوب والمعنى الجليل والهدف النبيل، فاستحقّت بذلك أن تُسمّى عيونا.

الكلمات المفتاحية : الالتزام، الإبراهيمي، مقالات، الجزائر، إصلاح.

ABSTRACT

The commitment is the participation of writers in their pain, their sorrows and their hopes. Al-Bashir Al-Ibrahimi, known for his commitment to literature, embodies the concept of commitment through his vision of the word as a trust and a responsibility as conscience, deserving to be one of the pioneers of the reform in Algeria.

His reformist articles were characterized by a deep and insightful vision, as well as by the beauty of style, high meaning, and noble design.
Which allowed to name it as sources.

Key – words : The commitment, Al-Ibrahimi, articles, Algeria, reform.

Resumé:

L'engagement est la participation des écrivains dans leur douleur, leurs peines et leurs espoirs. Al-Bashir Al-Ibrahimi, connu pour son engagement dans la littérature, incarne le concept d'engagement à travers sa vision de la parole comme une confiance et une responsabilité en tant que conscience, méritant d'être l'un des pionniers de la réforme en Algérie.

Ses articles réformistes étaient caractérisés par une vision profonde et perspicace, ainsi que par la beauté du style, la haute signification et le noble dessein.

Ce qui a permet de la nommer comme sources.

Mots clés : L'engagement, Al-Ibrahimi, articles, Algérie, réforme.